مقالات الرافعي المجهولة
(في اللغة والأدب)

وليد عبدالماجد كساب



242

مقالات الرافعي المجهولة

(في اللغة والأدب)

جمعها وقدم لها

وليد عبدالماجد كساب



242



رئيس التحرير

محمد بن عبدالله السيف

الرياض – طريق صلاح الدين الأيوبي (الستين) – شارع المنفلوطي

هاتف: 4767345 – 4777943 فاكس: 4766464

ص.ب 5973 الرياض 11432
المملكة العربية السعودية

www.arabicmagazine.com
info@arabicmagazine.com



ⓗ المجلة العربية، 1438هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
كساب، وليد عبدالماجد
مقالات الرافعي المجهولة (في اللغة والأدب). / وليد عبدالماجد كساب.- الرياض، 1437هـ
164ص؛ 14 × 21سم.- (كتاب المجلة العربية؛ 239)
ردمك: 6-01-8204-603-978
1 - الرافعي، مصطفى صادق، ت 1356هـ 2 - المقالات العربية - مصر أ.العنوان
ديوي 814.962 1438 / 139

رقم الإيداع: 139 / 1438
ردمك: 6-01-8204-603-978

المحتويات

(إنَّ (أُسْلُوبَه) سَليمٌ من الشَّوائب الأَعْجَميَّة التي تَقَعُ لنا في كتاباتنا نحنُ العَرَبَ المتأخِّرين، فكأنِّي وأنَا أَقْرَأُ له؛ أَقْرَأُ من قَلَم المُبَرِّد)

أحمد لطفي السيد

(إنّه لَيَتَّفقُ لِهَذَا الكَاتب من أَسَاليب البَيَان ما لا يَتَّفقُ مِثْلُهُ لِكَاتبٍ مِنْ كُتَّابِ العَرَبيَّةِ في صَدْرِ أيَّامها)

عباس محمود العقاد

(وكذلكَ تَظْلمُ الأستاذَ الرَّافعيَّ إنْ قُلْتَ إنَّ حَظَّهُ منَ العلْم باللغَة العَرَبيَّة وآدَابهَا وبدَقَائقهَا وأَسْرَارهَا قَليلٌ؛ وإنَّما الحَقُّ أنَّ الذينَ يَعْلَمُونَ هذه اللُّغَةَ كما يعلَمُهَا الرافعيُّ قَليلُونَ جدًّا وأحسبُهُم يُحصَوْن أيضاً)

طه حسين

(كان رأيي فيه دائماً أنه أعلم أهل العربية وأوسع أدبائها اطلاعاً على علوم الدين... وأحسبني لا أبالغُ حين أقولُ: إن له بين آثاره ما لا يرقى إليه قلمٌ قديمٌ أو حديثٌ)

إبراهيم عبدالقادر المازني



صورة نادرة للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

تمهيد

مصطفى صادق الرافعي؛ رؤية مغايرة

ارتباطـي بـأدب مصطفى صـادق الرافعي قـديمٌ يضرب بجـذوره الممتدة إلـى أيـام الطَّلب عندما كنـت في بواكير المرحلة الثانويـة، وقد مثَّل لي أدب الرجـل في ذلـك الوقت صدمة فكريـة لا أستطيع وصفهـا؛ إذ انتقل بي من القـراءة السريعـة العابرة إلى نوع جديـد من القراءة المتأنيـة؛ فكنتُ أُعيد قـراءة العبارة الواحـدة أكثر من مرة لأفهـم مرادها وأستشعـر حلاوتها، ووجدتنـي أُمسـكُ بالقلم –على غير عادتي– لأخُـطَّ خطوطاً واضحةً تحت هذه العبارات الوامضة.

وإنْ أَنس لا أنسَ يوم أن كنتُ أتجولُ في شوارع مدينة طنطا الهادئة التي عاش فيهـا الرافعـي حيناً من الدهر؛ فـإذا بي إزاء محل لبيـع الأدوات المدرسية وبعضـ الكتب القديمـة أسفل بناية موغلـة في القِدَم، أو بتعبـير أدق (آيلة للسقوط)؛ فدلفت إليها وسألت صاحبها –وكان قديماً هو الآخر– عن بعض كتب الرافعي؛ فابتسم في نشوة حانية وقال: ليس عندي من كتبه شيء، لكن لـديَّ شيئـاً مهماً يخُصُّه ربما تحبُّـه؛ تعجبت وسألته في دهشـة؛ فأشار إلى البناية ذاتها قائلاً: هنا، في هذا البيت كان يعيش الأستاذ الرافعي!

لا أدري كـم مرة قصدت هـذا البيت ووددتُ وُلُوجَـه والتجول في ردهاته، لا لشـيء إلا لأنه كان شاهدَ عدْلٍ على كثير من تفاصيل حياة الرافعي الغائبة، لقد رآه في شِبعه وجوعه، في فرحه وحزنه، في حلمه وغضبه؛ لكن البيت كان موصـداً تمَاماً، ولم يكن فيه ما ينبض بالحيـاة إلا ذلك الشيخ الكبير الذي ينتظر مصيره أسفل هذه البناية المتداعية!

ظللت حيناً من الدهر أطالعُ ما بين يديَّ من أدب الأستاذ مثل كتابه الأشهر

(وحي القلم)، و(إعجاز القرآن) و(تحت راية القرآن) وغيرها من مؤلفاته المعروفة، ولم أكن أتصور أن تكون للرجل أعمال ضخمة مجهولة لا يعرف عنها القراء شيئاً البتة؛ لكن عندما طالعتُ كتاب (حياة الرافعي) لتلميذه الأستاذ محمد سعيد العريان، فَجَأني ما ورد في طيات كتابه عن مقالات بعينها، كحديثه عن مقالات (نقد ديوان وحي الأربعين) للأستاذ العقاد، ومقال (طبقات الشعراء) ومقالات أخرى في نقد المجمع اللغوي بالقاهرة، وغيرها من المقالات المهمة التي غيبتها يد الزمن.

ليس هذا فحسب؛ بل نصَّ العريان صراحةً على وجود أعمال لم تنشر في كتب الرافعي، منها ما سبق نشره في الدوريات، ومنها المخطوط الذي لم يُنشر من الأصل، ولعل ذلك ما جعله يختم كتابه بقوله: (ليس يكفي أن يكون كلّ وفائنا للرافعي حفلة لتأبينه، وبضع كلمات لرثائه؛ ولكن الوفاء حق الوفاء أن نعمل على تخليد ذكراه، وتخليد أدبه، وتجديد دعوته، وإبقاء ذكره، ونشر رسالته، فليكن هذا الكتاب الذي أنشأته عن حياة الرافعي أولاً له ما بعده؛ لنفكر في الرسائل النافعة التي تجدي على الأدب أكثر مما تجدي رسائل التأبين وكلمات الترحُّم والاسترجاع)، هزتني كلماته هذه، كما هزتني كلمات الأستاذ محمود شاكر: (وغداً يجد الناس بين أيديهم كل ما كتبه حاضراً لم يضع منه شيء، وكذلك يجد كل من يريد سبيله إلى معرفة الرافعي من قريب وتقديره والحكم إمَّا له وإمَّا عليه). وسألت نفسي حينها: هل من الممكن أن أبحث عن مجهولات الرجل وسط هذا الركام الهائل المُهمَل؟! كانت الإجابة التي تلقَّيتُها: مستحيلٌ!

ورغم أن اختلاف النهار والليل يُنسي؛ فإن فكرة جمع هذه المجهولات لم تغب عني؛ وظلت تراود مخيلتي من آنٍ لآخر، وحدث أن كتبتُ مقالاً بالتزامن مع

ذكرى وفاة الرافعي بصحيفة الأهرام القاهرية بتاريخ 15 مايو 2008م، فتلقيتُ عندها دعوة من أسرته لحضور احتفالية بأحد المنتديات الثقافية الضخمة بالقاهرة يحضرها بعض أساطين الأدب والثقافة، وكان ما كان مما يضيق المقام عن ذكره، لكني خرجت في هذه الليلة أكثر تصميماً على جمع مجهولات الرجل في مواجهة الحملة الشرسة التي لا تفتر تجاه أدبه ومدرسته وامتداداته الفكرية.

أشواك في الطريق

انتويتُ جمع تراث الرافعي المجهول واهتديتُ إلى تتبع الكتب التي أرَّخت للرافعي أو لفترة من حياته أو لمعركة من معاركه؛ فتتبعت رسائله إلى محمود أبي رية، وما كتبه العريان في (حياة الرافعي)، والكاتب العراقي الدكتور مصطفى البدري في سفره الضخم (الإمام مصطفى صادق الرافعي)، والأستاذ أنور الجندي في كتابيه (المعارك الأدبية) و(صفحات مجهولة من الأدب العربي المعاصر)؛ فأمسكت بعض خيوط توصَّلتُ من خلالها إلى عناوين عدد من المقالات التي وردت عَرَضاً في سياق الحديث.

لكن ثمَّة صعوبات كثيرة واجهتني أثناء التنقيب في صحافة القرن الماضي وتراثه عن كتابات الرافعي المجهولة؛ وذلك بسبب من اتساع تراث الرجل وتناثره بشكل يدع الباحث حيران تتقاذفه الأوهام، حتى لقد أحصيتُ نحو خمسين صحيفة ومجلة كتب لها الرافعي، منها مطبوعات لم أستدل ولو على عدد واحد منها لنُدرتها مثل مجلة (المضمار) الرياضية، وقد ألحقتُ بهذا الكتاب بياناً بها إتماماً للفائدة وإعانةً لمن رغب من الباحثين في سلوك هذه السبيل الوعرة.

كان الحصول على بعض الدوريات -التي لم تحظ بالاهتمام الكافي رغم نفاسة ما تحويه من تراث- ضرباً من المستحيل؛ فمثلا مكثتُ سنوات طويلة أبحث عن مقال الطبقات الذي نشره الرافعي مطلع القرن الماضي في (مجلة الثريا) دون جدوى، حتى إنَّ أعداد المجلة كانت متاحة جميعها بدار الكتب المصرية إلا العدد الذي أبحثُ عنه، وقد ظللت أُفتِّش عنه داخل مصر وخارجها حتى أكرمني الله تعالى بأخي أحمد عبدالرحيم الذي وصَلَني بالصديق الأديب السعودي حامد المالكي؛ فأهداني المقال مشفوعاً بمقالات أخرى نفيسة؛ فلهما الشكر الجزيل.

وصعَّب من مهمتي أنَّ أكثر الصحف والمجلات القديمة لم تتم فهرستها بشكل يجعلها متاحةً أمام الباحثين، إذْ لم أُصادف كشافاتٍ إلا لبعض المجلات الكبرى كـ(الرسالة) و(المقتطف)، و(الهلال) وهناك مجلاتٌ محدودة الأعداد مثل مجلتي (الزهور) و(أبولو) كان البحث فيها أيسر بطبيعة الحال؛ لكن ما عساي أن أفعل في صحيفة مثل (المؤيد) أو (السياسة) و(كوكب الشرق) وغيرها من الصحف التي لم تحظ بالفهرسة وللرجل فيها عدد غير قليل من المقالات؟!

كان التعامل مع ما عثرتُ عليه صعباً ومُضنياً في الوقت ذاته، فقد كنتُ أجد المقال فأنقلب إلى الناسخ مسروراً ليكتُبَه، وسرعان ما أُصدم عندما أُعيد قراءته فأكتشف أن صاحبنا قد أعاد نشره في كتاب له بعد تغيير العنوان فقط كما في مقاله (في وحي الروح.. التراب المتكلم أمام التراب الصامت) الذي نُشر في المقتطف وأعاد نشره في (كتاب المساكين)، وربما دَمَجَه في مقال آخر كما في مقاله المعنون بـ (لماذا أستمسك بالطربوش؟!) المنشور بمجلة الهلال حيث أعاد نشره في وحي القلم وسمَّاه) (سر القبعة)؛ لذا

أصبحتُ أكثر حرصاً على تحرِّي الدِّقَّة والبحث بتؤدة وتريُّث حتى لا أتورَّط من جديد وتذهب جهودي سُدىً، ولعلَّ في هذه الأمثلة التي أوردناها دليلٌ على تهافت الرأي القائل إنَّ العريان قد تصرَّف في مقالات الرافعي وهو الأمر الذي سبَّب القطيعة بينهما، والأمثلة في هذا الشأن أكثر من أن تُذكر.

أما عن مستوى جودة الدوريات محل البحث؛ فالأصل هو عدم الوضوح لإيغالها في القِدَم، وقد عانيتُ كثيراً من طمس بعض الكلمات وإشكالها في الأصل، ولعل ذلك راجع في أساسه إلى مستوى الدوريات العتيقات البائسة الآخذة بالتلف بسبب من عقوقها والإساءة إليها من (أمة اقرأ)، ولكم كنتُ أتحسر عند رؤية هذا التراث الذي تظاهر عليه الإهمال والبلى؛ حتى إن الأوراق لتتكسَّر في هشاشةٍ مِن وَقْع الرطوبة الفتَّاكة!

تمنيتُ لو قدَّمت لي أسرة الرافعيِّ الدَّعم المعنوي اللازم وظاهرَتْني في هذه المهمة التي استهدفتْ خدمة أدب جدِّهم أبي السامي.. وتعدَّدت زياراتي لهم وتوالت الاتصالات الهاتفية دون جدوى، وأذكر أنني قد وقفتُ منذ نحو سبع سنوات في بيت حفيد الرافعي على ملف مكتوب عليه (أسرار الإعجاز) وبداخله بعض الأوراق التي تسلَّل إليها البلى على غير استحياء، فتصفحتُها على عَجَلٍ؛ فإذا بها آياتٌ وخواطرُهُ عليها، وسعيتُ مراراً في التحصُّل على صورة من الكتاب لنشره حتى يفيد منه الناس لا سيما في ظل إلحاح كثير من عشَّاق أدب الرافعي الذين راسلوني من سوريا والمغرب والجزائر والسعودية واليمن وتركيا وغيرها من الأقطار يطلبون مني إخراج الكتاب؛ لكن ذلك لم يكن مجدياً مع أسرته التي لم أُرِدْ منها إلا المودةَ في القُربى!!

فلماذا غابت هذه الأعمال؟!

هناك اتجاهٌ يرى في نشر المجهولات تعدِّياً على حقوق صاحبها وإساءة إليه؛ ويتذرَّع أصحاب هذا الاتجاه بأن الكاتب لو أراد نشر هذه الأعمال وإذاعتها لفَعَل؛ لكنه أهملها لكونها بدائية ساذجة لم تعد تُعبِّر عن فكره وقلمه؛ وهذا كلام له وجهٌ من الصحة لا يُغفل؛ لكن ماذا نفعل إذا كان الكاتب نفسه قد أشار في غير موضع إلى افتقاده بعض المقالات التي ضاعت في دوَّامة السنين؟!

جَمَع الرافعي كثيراً من مقالاته وجعلها بين دفتين، كما الحال في كتابه (تحت راية القرآن) الذي سمَّاه (المعركة بين القديم والجديد)، وأصلُهُ مقالات كتبها في صحيفة (كوكب الشرق) وغيرها عام 1926م تقريباً، كما جمع مقالاته التي كتبها في مجلة (العصور) في نقد الشاعر عبدالله عفيفي والأستاذ عباس العقاد وضمَّنها كتاباً سمَّاه (على السَّفود)، ثم أصدر جزأين من كتابه الأكثر ذيوعاً (وحي القلم) وقضى نَحْبه قبل أن يُصدر الجزء الثالث؛ فتولَّى العريان هذا الأمر.

ليست وفاة الأستاذ هي السبب الأوحد لغياب هذه المقالات عن القارئ كل هذه السنوات؛ بل هناك سببان آخران -لا نستطيع أن نغفلهما- حالا دون نشر كثير مما كتبه:

الأول: أن الرافعي كان أحياناً يفقد مقالاته بعد نشرها، وقد سجَّل ذلك في عدد من الرسائل التي أرسلها إلى أبي رية، ففي رسالته رقم (112) المؤرخة في 25 أغسطس 1928م يقول: «وقد عجبت من أنك وجدت خمسين مقالة، وسأدُلُّك على كل مقالة تُنشر إن شاء الله لتكون (دفترخانة) رافعية

حتى يجيء الوقت»، وفي رسالته رقم (132) المؤرخة في 5 يناير 1930م يخاطبه قائلاً: «يا أبا رية.. إذا كانت عندك المقالة التي نشرتُها في الهلال عن الأخلاق الواجب أن تحتفظ بها المرأة الشرقية وما كُتب عن هذه المقالة في (منيرفا) فأرسل إليَّ ذلك... سيصدر الكتاب وليس عليه اسمي مراعاة للظروف الحكومية الحاضرة». وقد تتبعت كثيراً من المقالات التي أشار إليها الرافعي في هذه الرسائل وحصلت على بعضها بعد بحثٍ شاقٍ ومُضنٍ.

الثاني: تغيُّر الظروف السياسية وتعاقب الحكومات في ذلك الوقت، فكانت كلما تولت حكومةٌ زمام الأمور لعنت أختها، وفي بعض رسائله تلميح إلى هذا التضييق الذي كان يعانيه كغيره من الأدباء والمفكرين، من ذلك الرسالةُ المؤرخةُ في 18 يناير 1920م التي رد فيها على تساؤل (أبورية) واندهاشه من عدم رثاء الزعيم (محمد فريد)، يقول الرافعي: «أمَّا ما كنتَ كتبتَ لي عنه من رثاء الشهيد العظيم فريد بك؛ فأنت لا تعرف الظروف المحيطة التي جعلتني أرى السلامة في السكوت، واعلم أنني لو نظمتُ ذلك الرثاء كما يجب أن يُنظم، وفي المعاني التي تليق به؛ لرأيت في الصحف خبر نقلي إلى قنا أو ما دونها؛ فترك الشر ساكناً أجمل بي» إنه يرى السكوت أفضل في ذلك الحين، فهو الذي يضيق بالوظيفة وأعبائها، ويرى فيها مضيعة لوقته، وإهداراً لطاقته؛ يخشى أن يصيبه الجهر بآرائه السياسية بالنقل إلى منطقة نائية؛ فتذهب بما تبقى من راحته التي ظل ينشدها طيلة حياته؛ ولأن ترك الشر ساكناً – كما يرى- أجملُ به من الحديث في أمر قد يُكلِّفه الكثير، وأظن ذلك هو السبب نفسه الذي جعله لا يُعيد نشر مقاله في رثاء ابن عمه الأستاذ أمين الرافعي الذي توفي عام 1927م وكان على خلاف سياسي كبير مع سعد زغلول باشا والوفد، رغم أن هذا المقال من أجمل ما

كتب الرافعي، وفي رسالة -ورد ذكرها منذ قليل- أخبر أبا رية أنه سيصدر كتاباً دون توقيع نظراً للظروف السياسية وقتها.

قبل الانتهاء من إعداد هذه المقالات المجهولة؛ فكرتُ في تصديرها بدراسة علمية ضافية تتناول الكاتب والمقالات؛ غير أنِّي تراجعتُ وعَزَمتُ على تقديمها للقراء والباحثين بتصدير موجز بعيد عن الإسهاب؛ لأفتح المجال أمام الدراسات النقدية واللغوية الجادة؛ إذ تُميط هذه المقالات الحُجُب عن جانب مطمورٍ من جهود الرافعي في مجال اللغة والأدب، وهي جهود حقيقةٌ بالبحث والدراسة؛ بل لعلها تكون فرصة حتى يعيد الباحثون الذين تناولوا جانبي اللغة والنقد في أدب الرافعي النظر في ضوء هذه المقالات القديمة الجديدة، لكني سأكتفي من قراءة هذه المجهولات بالإشارة إلى عدة أمورٍ أراها حَرِيَّةً بالتأمل.

1 - من الشعر إلى النثر

لم يجد الرافعي نفسه في كتابة الشعر رغم جودة بضاعته منه وإصداره أكثر من ديوان في أوائل حياته، وهناك أبيات له صارت مضرب المثل في بابها؛ من ذلك قوله مُتغزِّلاً:

يا مَنْ على البُعْدِ يَنْسَانَا ونَذْكُرُهُ
لَسَوْفَ تَذْكُرُنَا يَوْماً ونَنْسَاكَا
إنَّ الظَّلَامَ الذي يَجْلُوكَ يا قَمَرُ
له صَبَاحٌ مَتَى تُدْرِكْهُ أَخْفَاكَا

وبين يديَّ ديوانه (نسيمُ السَّحَر) وهو -فيما أعلم- ديوانٌ لم يعرف عنه تاريخ الأدب شيئاً يذكر، ولم يتناوله من أرخوا لحياة الرجل أو درسوا جانباً

من أدبه، يقول الرافعي في مقدمته: «وهنا أُثبتُ كلمة تُذكِّرني الأمر فيما بعد يوم يكونُ لهذا الديوان -إن شاء مَنْ وهَبَ- المنزلةُ الأولى بين أدباء العصر».

كانت الساحة ملأى بعدد من أعلام الشعراء، فقام بمحاولة طريفة لوضع نفسه على خريطة الشعر العربي وفي القلب منها مصر، ففي العام 1905م كانت مجلة (الثريا) لصاحبها إدوارد جدّي على موعد مع مقالٍ طويلٍ لكاتبٍ مجهولٍ -اكتفى بأن رمز إلى نفسه بنجمة (*)- قسَّم الكاتب شعراء عصره إلى طبقات ثلاث، وجعل في الأولى أربعة شعراء هم: الشاعر العراقي عبدالمحسن الكاظمي، ومحمود سامي البارودي، وحافظ إبراهيم، ثم وضع نفسه رابعاً، وضمت الطبقتان الأخريان أسماءً لامعة كإسماعيل صبري، وأحمد شوقي، وخليل مطران، ومحمد توفيق البكري، وشكيب أرسلان، ومصطفى لطفي المنفلوطي، وأحمد الكاشف، وأحمد محرم، ولم يحتج الشعراء والقراء إلى كثير عناءٍ ليعرفوا أن كاتب المقال هو الرافعي رغم إمعانه في الإنكار، قبل أن يُقرَّ بذلك لاحقاً.

ومما غاب عن أعين النقاد والمشتغلين -أو غيبوه- أن الرافعي لم يكن مقلداً محضاً في شعره، بل نادى بالخروج على قيود الشعر المُكبِّلة، يقول الأستاذ رجاء النقاش: «ولست أشك في أن وقفة الرافعي ضد قيود الشعر التقليدية كانت أخطر وأول وقفة عرفها الأدب العربي في تاريخه الطويل، وأهمية هذه الوقفة أنها كانت حوالي سنة 1910، أي قبل ظهور معظم الدعوات الأدبية الأخرى التي دعت إلى تحرير الشعر العربي تحريراً جزئياً أو كلياً من القافية والوزن» يأس الرافعي من تحصيل إمارة الشعر وسط هذا الزَّخَم من الشعراء، وعندها لم يعد أمامه إلا أن يكتفي بكتابة المقال ويُبدع فيه؛ فتعددت سُهَم الرافعي وتشعَّبت مجالات إبداعه؛ فكتب الرسالة والمراثي،

كمـا كتـب القصـة وإن لم يتقيَّد فيها بقواعـد السرد الحديـث، وأسهب في الحديث عن ذلـك في مقال كتبه تحت عنوان (فلسفة القصة ولماذا لا أكتب فيها).

كتـب الرافعي المسرحية بالتزامن مع قرض الشعر في وقت مبكر من حياته، وكانـت له سهمته النقدية من خلال عدد من المقالات النقدية التي لم يحظ أكثرها بالانتشار، وكذلك كان له جهده العلمي المنظم في كتابه (تاريخ آداب العـرب) الـذي أرَّخ فيه للأدب العربـي بعيداً عن التقسيـم المعتاد لعصوره التاريخيـة كما هو الحال عنـد التالين من مؤرِّخـي الأدب العربي كالدكتور شوقي ضيف الذي اختار أن يؤرخ للأدب بعد تقسيم العصور التاريخية منذ العصر الجاهلي وصـدر الإسلام ومروراً بالدولة الأموية والعباسية وهكذا؛ لكـن الرافعـي اختار أن يتنـاول قضايا الأدب الكبرى مـن جذورها ويدرس تطورها عبر العصور التاريخية المختلفة.

2 - الرافعي والمَلَكَة اللغوية

نشأ الرافعي نشأة دينية في بيت عُرِف بالعلم، وكان أبوه قاضياً كبيراً يعرف للعلم حقه ولأهله فضلهـم، فنشَّأه على حب القراءة والتعلم، كما ربَّاه تربيةً إيمانيـةً أثَّـرت في نفسـه وحبَّبت إليـه القرآن ولغتـه، ولنستأنـس بالرافعي ليحدثنا عن طرف من تربية أبيه له؛ يقول: «كنتُ في العاشرة من سِنِّي، وقد جمعْـتُ القرآنَ كلَّه حفظاً، وجوَّدتُـه بأحكام القراءة، ونحن يومئذ في مدينة (دَمَنهور) عاصمة البُحَيْرَة؛ وكان أبي -رحمه الله- كبيرَ القُضاة الشرعيينَ في هـذا الإقليم، ومن عادته أنه كان يعتكف كل سنة في أحد المساجد عشرة الأيـام الأخـيرة من شهـر رمضان؛ يدخـل المسجد فلا يَبْرَحُـهُ إلا ليلة عيد الفطرَ بعد انقضاء الصـوم؛ فهناك يتأمل، ويتعبَّد، ويتَّصِل بمعناه الحق...

وذهبتُ ليلةً فَبِتُّ عند أبي في المسجد؛ فلمَّا كنَّا في جَوْف الليل الأخير أيقَظني للسُّحور، ثُمَّ أمرني فتوضأتُ لصلاة الفجر، وأقبل هو على قراءته»

اكتسب الرافعي مَلَكَةً لغويةً متينةً بعد أن تفتَّحت عينُه على أمهات الكتب ينهل من مَعِينها، وحفظ القرآن الكريم والأحاديث الشريفة في سن مبكرة، واتسعت مداركه شيئاً فشيئاً؛ إذْ كان يقرأ كل ما يجده من كتب، حتى إنه عندما سُئل في استفتاء مجلة (الهلال) عن أهم الكتب التي أفادته؛ قال: «في أيام التحصيل كنتُ أقرأ كلَّ ما أصابته يدي، وكنتُ أكثر الملاحظة وأدقِّق فيها؛ فلا أعرف كتاباً أنا منه أكثر مما أنا من غيره؛ ولكن إن يكن؛ فلعلَّه كتابٌ في الحديث اسمه (الجامع الصغير)، كنت أَحضرُ به درس أبي -رحمه الله- ثمّ قرأتُه من بعد للسيّد جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده»، وقد أشار في مقدمة ديوانه المجهول (نسيمُ السَّحَر) إلى أنه كان شيخ نفسه، يقول: «أما العلوم؛ فقد تناولتُ الأدبيات بنفسي، لم يُرشدني في ذلك أستاذ، ولا علَّمني إنسان، ومن آتاه الله من فضله استغنى عن المخلوقين... وما زلتُ أُنمي قواي العقلية بالحكمة وغيرها مما تحصد من زرعه ثمار الفضائل الإنسانية»، وقد قيل إنه استظهر كتاب (نهج البلاغة) في القطار أثناء ذهابه وإيابه بين طنطا وطلخا؛ فأفاد منه فوائد لغويةً وأسلوبيةً جمَّةً.

نلاحظ هنا أن كثيراً من مقالات الرافعي التي أوردناها في مجال اللغة جاءت في معرض الرَّدِّ والتصويب اللغوي؛ حتى إن المجمع اللغوي نفسه لم يسلم من استدراكاته؛ فقد كتب سلسلة مقالات في صحيفة (البلاغ) بدأها أول فبراير سنة 1934م بمقال عنوانه (أول الغَلَطِ من المجمع اللُّغوي) انتقد فيها المجمع بتوقيع (أديب صغير)؛ وليس باسمه الصريح، وأخذ عليهم بعض الكلمات والأساليب التي رآها غير صحيحة.

كان الرافعـي ثبتـاً في اللغـة على علـم كبير بهـا؛ وهو الأمر الـذي شهد به أقرانـه وخصومه التقليديـون أنفسهمً؛ فعندما قـرَّظ الأستاذ أحمد لطفي السيـد لكتاب (تاريخ آداب العرب) قـال عن أسلوب الرافعي «إنَّه سليمٌ من الشوائـب الأعجمية التي تقع لنا في كتاباتنا نحـن العرب المتأخرين، فكأني وأنا أقرأُ له؛ أقرأُ من قلم المُبَرِّد».

ومـن العجيـب أن الأستـاذ عباس محمـود العقاد قال عنه بعـد وفاته بنحو ثـلاث سنين: «إن للرافعـي أسلوباً جزلاً، وإنَّ له من بلاغة الإنشاء ما يَسْلُكُهُ في الطبقـة الأولى من كُتّاب العربية المنشئـين». وكان قد قال قبل أن يختلفا وتنشب بينهما المعارك: «إنه ليتفق لهذا الكاتب من أساليب البيان ما لا يتفق مثلُه لكاتبٍ من كُتَّاب العربية في صدر أيامها».

أمـا الدكتور طه حسـين؛ فرغم خلافه القديم مع الرافعي فإنه أقرَّ في كتابه (حديـث الأربعاء) بتمكُّنه اللغوي؛ يقول: «وكذلك تظلمُ الأستاذ الرافعي إن قلـتَ إن حظه من العلم باللغـة العربية وآدابها وبدقائقهـا وأسرارها قليل؛ وإنمـا الحـق أن الذين يعلمـون هذه اللغة كمـا يعلمها الرافعـي قليلون جدًّا وأحسبهم يُحصون أيضاً».

ويُمعـن الأستـاذ زكي مبارك في مدح قدرات الرافعـي اللغوية حيث يقول في معرض قدحه للأستاذ أحمد أمين: «آه ثم آه!! ما جزعتُ على وفاة الأستاذ مصطفـى صـادق الرافعي كما جزعتُ عليهـا اليوم! فلـو كان الرافعي حياً ورأى أحمد أمين يقول في ماضي الأدب العربي ما يقول؛ لأصلاه نار العذاب وصيَّره أضحوكةً بين أهل الشرق والغرب».

وفي حديثـه عـن الرافعي نجد الأستاذ إبراهيـم عبدالقادر المازني يقول في مقاله المعنون بـ(مصطفى صـادق الرافعي فقيد الأدب الكلاسيكي): «كان

رأيـي فيه دائمـاً أنه أعلم أهـل العربية وأوسـع أدبائها اطلاعـاً على علوم الديـن... وأحسبنـي لا أبالغ حين أقول: إنَّ له بين آثـاره ما لا يرقى إليه قلمٌ قديمٌ أو حديثٌ». هكذا كان بعض رموز الفكر والأدب يُقرّون بتمكّن الرافعي اللغوي رغم الخلاف الشديد بينهم!!

3 - الرافعي والنقد الأدبي

لم يكن الرافعي غائباً عن ساحة النقد الأدبي كما يُتصَوَّر؛ بل كانت له جهود مبكرة لا يمكن إغفالها بحال من الأحوال؛ نعم أغلب ما قدَّمه الرجل من نقد كان في إطـار المعارك الأدبية الحامية وهو مـا جعله يختلط بغيره من النقد الشخصي الذي استهدف هدم الخصم ورميه بالنقائص، ولما كان الرافعي حديـد اللسان؛ فقد طغت هذه الحـدة فأصبحت هي السمة الأبرز في نقده، ومن ثم رآها الكثيرون خارجة عن إطار الموضوعية، وفي ذلك يقول العريان: «لقد كان ناقداً عنيفاً حديد اللسان، لا يعرف المداراة ولا يصطنع الأدب في نضـال خصومه، وكانت فيـه غيرة واعتداد بالنفـس؛ وكان فيه حرص على اللغة من جهة الحرص على الدين».

وحسب ما وصل إلينـا من مقالات؛ فقد بدأت جهود الرافعي النقدية مبكراً في عـام 1903م عندمـا صدَّر الجـزء الأول من ديوانه بمقدمـة تناول فيها الشعـر وفنونـه ومذاهبـه، ورغم أنه لم يُعـرِّف الشعر تعريفـاً محدداً؛ فقد ضمَّـن مقدمتـه رؤىً تجديديـة للشعر العربـي، وهي رؤى لا بـد من الوقوف أمامهـا مليَّاً حتى نـذُبَّ عن الرجل ما يُروَّج عنه مـن وقوعه أسيراً للقديم، ولعـل بعض الباحثين ينبري لدراسـة هذه الآراء التجديديـة التي نادى بها الرافعـي في مقدمتـه للديـوان وفي غيرها من المقالات التـي نشرها في كتبه والتي نشرناها هنا.

وفي عام 1905م –وعمره آنذاك نحو خمسة وعشرين عاماً- كتب مقال (الثريا) الذي أشرنا إليه آنفاً، فكشف عن ذائقة نقدية مطبوعة، ثم تأتي بعد ذلك معركة النشيد الوطني في مطلع العقد الثالث من القرن العشرين، وهي المعركة التي أسهم فيها كلٌّ من الرافعي والعقاد بنقدٍ لاذعٍ لنشيد أحمد شوقي الذي مطلعه:

بني مصرَ مكانكمو تهيَّا

فهيَّا مهِّدوا للمُلكِ هيَّا

ثمة معركة هي الأشهر في النقد وهي معركة السفافيد، حيث بدأ الرافعي كتابة سلسلة مقالات بين عامي 1929 و1930 تحت عنوان (على السَّفُّود) بـ(مجلة العصور) باسم رمزيٍّ هو (إمام من أئمة الأدب العربي)، وهي المقالات التي انتقد فيها شاعر الملك عبدالله عفيفي والأستاذ العقاد، وقد أثارت جلبة كثيرة في الأوساط الفكرية والأدبية، ثم أصدر هذه المقالات في كتاب منفرد يحمل ذات العنوان واللقب.

وبعض أساتذتنا يرى أن ما كتبه الرافعي في هذه السفافيد، وإن دلَّ على عارضة العالم القوي الثبت، وعلى ملاحظة الأديب المعتمد على تراثنا الثقافي العظيم؛ فإنه يدور في إطار الطريقة الجزئية للنقد، وليس في إطار النظريات والفلسفات المتقدمة؛ لكن هذا الكتاب يكشف عن بعض الحلقات المفقودة في المنجز النقدي للرافعي كما في مقالاته، مثل: حرفة الأدب، وإعجاز القرآن: نقد ظهرت أذنه، وكتاب ابن الرومي.. نقد وتحقيق، والشعر الفني في نظم شوقي بك، وكلها مقالات جديرة بالدراسة بإمكانها أن تُضيف الجديد إلى الرافعي ناقداً.

لماذا يُعادون الرافعي؟!

أرى أن الكتابة في الوقت الراهن عن الرافعي وأمثاله ممن تغيَّوا الحفاظ على هوية الأمة أمرٌ واجبٌ تُحتِّمه الظروف الراهنة التي تعيشها أمتنا، وسط المحاولات الضارية التي تستهدف بنيانها من القواعد، إذْ للرافعي خصوصيةٌ كبيرةٌ بين كُتَّاب عصره، وهو ما وضَّحه تلميذه محمد سعيد العريان بقوله: «فالرافعي أديب الخاصة، كان يُنشئ إنشاءه في أي فروع الأدب ليُضيف ثروة جديدة إلى اللغة تعلو بها وتعزُّ مكاناً بين اللغات».

نعم كانت الرمزية سمةً مميزةً لكتاباته؛ لكنه لم يُغرق فيها إلى الحدِّ الذي يخرجها عن إطار الإبداع الأدبي إلى الكتابات الفلسفية التي تستعصي على الفهم وتأباها النفس، وكان له تفكيره المتفرِّد عن غيره، ولطالما رأى في نفسه ما لا يراه الآخرون، وهو ما جعله هدفاً لسهام الآخرين في شعره ونثره، ولا أجدُ رجلاً تعرَّض لظلم التاريخ والنقد كما هذا الرجل، فبسبب من اتجاهه المحافظ أُخِّر عن مكانته التي تليق به، ولم يحظ بنفس الاهتمام الذي أحاط برجال عصره الأقل شأناً!

ومن أسف أنَّ بعض من انتقدوا الرافعي لم يُنصفوا في نقدهم له، نعم هو ليس فوق النقد؛ لكنهم غضُّوا الطرف عن النصف الآخر من الكوب، فعندما تُخضع الأستاذة نعمات أحمد فؤاد أدب الرافعي لمعاناته مع المرض والفقر فتتبع بعض كتاباته ورسائله، وتحاول جهدها التقليلَ من شأن الرجل انتصاراً لأستاذها بشكل غير مباشر؛ فهذا مما يبعث الحزن في النفس؛ إذْ صار العلم (تصفية حسابات)، واختل ميزان النقد الأدبي حتى طاش!

لقد جرَّ مذهب الرافعي المحافظ عليه ويلات كثيرة، ففي الوقت الذي

كانت الثقافة تولّي وجهها شطر الغرب في خفوت وإدبار عن هويتنا وتراثنا بداعي التجديد؛ كان الرجل يؤكد اعتزازه بمذهبه الذي يقوم على ترسيخ الفضائل ومحاربة كل رذيلة؛ ولذلك نراه غير متردد في الجهر بإطار هذا المذهب قائلاً: «والقبلة التي أتجه إليها في الأدب إنما هي النفس الشرقية في دينها وفضائلها؛ فلا أكتب إلا ما يُبقيها حيةً ويزيد في حياتها وسمو غايتها، ويُمكّن لفضائلها وخصائصها في الحياة؛ ولذا لا أمسُّ من الآداب كلها إلا نواحيها العليا، ثم إنه يُخيّل إليّ دائماً أنني رسولٌ لغوي بُعِثتُ للدفاع عن القرآن ولغته وبيانه، فأنا دائما في موقف الجيش تحت السلاح له ما يعانيه وما يحاوله ويفي به وما يتحفظ فيه، وتاريخ نصره، وهزيمته في أعماله دون سواها».

وبسبب من معاركه التي لم تضع أوزارها؛ رُمي الرجل بكل نقيصة، وجَدّ خصومُه كثيراً في تشويه صورته وأدبه ورميه بالتشدُّد والتطرُّف؛ وهذا ما أشار إليه تلميذه العريان في قوله: «ولم يكن يعتبر له مذهباً في النقد إلا المذهب الأدبي الذي لزمه منذ نشأ في الأدب؛ فمن ذلك كانت خصوماته الأدبية تنتهي نهايتها إلى اتهامه في وطنيته وفي مذهبه السياسي، ورآها أكثر خصومه من كُتَّاب الشعب فرصة سانحة لينالوا منه عند القراء، فانتهزوها، وبالغوا في اتهامه، وأغرقوا في الطعن على وطنيته وتأوَّلوا مذهبه».

ليس ذلك فحسب؛ بل من عجب أنهم رموه بعدم الوطنية وهو الذي أحب بلده كما لم يحبه أحدٌ غيره؛ ونشيده الوطني الخالد بعذوبة كلماته وغلبة عاطفته يشي بغير ذلك.

إن الإشكالية الكبرى عند هؤلاء الذين يَدَّعون الحداثة مشترطين القطيعة

مع التراث أن «أكثر ما كان يتناوله الرافعي من شؤون الأدب هو ما يتصل بحقيقة الإسلام أو معنى من معانيه» ، وهل هناك أقبح من أن يأخذ عليه أحدهم أنه أسير الجملة القرآنية؟! فهل هذا اتهام يوجِّهه عقلاءٌ؟!

لقد راعني ما قرأته في تصدير كتبه الأستاذ رجاء النقاش منذ سنوات لمختاراته من كتاب (وحي القلم) الذي أصدرته الهيئة العامة للكتاب ضمن مشروع مكتبة الأسرة في النصف الأول من تسعينيات القرن الماضي حيث كشف حقائق مؤلمة تؤكِّد ما ذهبنا إليه في هذه المقدمة وما كتبناه سابقاً، إذْ يشير –كان ذلك في عام 1995 - إلى أنَّ «الحياة الأدبية العربية بدأت تكتشف الرافعي من جديد بعد أن أهملته ما يقرب من ستين سنة متصلة، وبعد أن نظرت إليه على أنه أديب تقليدي تصعب قراءته؛ لأن كتابته مليئة بالتعقيد والتكلُّف كما كان يُقال عنه!! الآن فقط، وبعد وفاة الرافعي بثمانية وخمسين عاماً بدأ الأدباء يعودون إلى الرافعي ويُعيدون التفكير فيه ويرون أن نظرتهم إليه كانت خاطئة وأن أسرار الجمال في أدبه كانت أكثر بكثير مما توهَّم المتوهمون الذين حكموا عليه بالغموض والتعقيد»، ومما يُؤسف له أن دور النشر في مصر قد سارت على نفس الطريق في إهمال الرافعي وإعطاء ظهرها له «فلم تنشر له دار مصرية كلمة واحدة منذ ما يقرب من نصف قرن كامل».

ورغم الحملات المنظمة التي لا تزال تُشنُّ على الرافعي وأدبه؛ فإنَّ مواقع التواصل الاجتماعي المختلفة على الشبكة العنكبوتية قد أعادت للرافعي بعض حقه؛ إذْ سرت عباراته وكلماته في هذا العالم الافتراضي وشاعت بشكل ملحوظ، وأسس بعض القراء عشرات الصفحات والمنتديات باسمه تارةً، وتارةً أخرى باسم كتبه؛ فكشفوا عن لآلئ أدبه ودرره في الدين

والحيــاة، وفي كل يــوم يكتسب هذا الرجل أرضاً جديــدة بين محبي العربية رغم التعتيم المتعمد حول أدبه وشخصيته.

***

لقد كنت أتوخَّى مراجعة المقالات وأحرص على تدقيقها وتفسير غوامضها، وإضافة بعض ما من شأنه توضيح النص للقارئ الكريم، وعَزو ما ورد فيها مــن نصوصــ وأشعار؛ وحاولتُ جهــدي أن أقدِّم النصَّ كمــا أراده صاحبه؛ فصحَّحــتُ مجتهداً ما تراءى لي مــن أخطاء، وضبطتُ الكلمات في المواضع التــي قد تلتبســ على القارئ الكريم، أو في المواطن التــي قد تُعينه على فهم أفضــل، مــع حرصي علــى ألا أُثقل النصــ بالحواشي الزائــدة التي لا تزيدً القــارئ إلا خَبَــالاً، أما الحواشي التــي وضَعَهَا الرافعي فقــد أثبتُّها كما هي ووضعت اسمه في آخرها بين قوسين هكذا: (الرافعي).

وقــد رأيتُ إيــراد المقالات حسب تاريخهــا من الأقدم إلى الأحــدث مع توضيح مناسبتهــا في الحاشية كلما عَنَّ ذلك؛ وأثبتُّ عدداً من الوثائق والصور النادرة التــي تحصَّلتُ على كثير منها من ذاكرة مصر المعاصــرة بمكتبة الإسكندرية؛ فلهم مني خالص الشكر والتقدير، وعساي أن أكون قد أصبت الطريق الصحيح في التعامل مع هذه الأعمال التي تُقدَّم للقارئ أول مرة.

إن تــراث الرافعي المجهول الــذي لم يصل إلى القارئ ليس محــدوداً كما يُظنُّ خطأ، ولا هو قليل الفائدة؛ فقد كان صاحبنا مكثراً من الكتابة لا يتردَّد في تلبية أية دعوة للكتابة مهما كان حجم المجلة أو الصحيفة، ولستُ أزعم أني قد جمعتُ كل مجهولاتــه بحيث لم أتــرك شاردة ولا واردة؛ بل هنــاك أعمالٌ أخرى كثيرة بتوقيعــه أو باسم وهميٍّ كمــا كان شأنه في كثير من المقالات، فضلاً عن خزائن ورثته وورثة أصدقائه وأقربائه وتلاميذه الذين كانت له معهم مراسلات.

وبعـد؛ فرغم كل العَنَت الذي لاقيته مذْ ولجتُ سبيـل الرافعي الشائكة هذه حتـى بلغتُ معه السعي في هذا الكتاب الذي تُقدِّمه (المجلة العربية) للقارئ الكـريم مشكورةً؛ فقد كنت حريصاً على ألا أتكاسل أو أتوانى عن تأدية هذا العمـل الشاق؛ إذ إنَّ أدب هذا الرجل الصَّلْب جزءٌ أصيلٌ لا يتجزَّأ من هُوية هـذه الأمة، وبعثُ هـذا التراث والمحافظة عليه أمرٌ واجـبٌ تُحتِّمه الظروف الراهنـة القاسيـة التـي نُصارع فيها من أجـل البقاء، والغـارةُ على ثوابتنا قائمـةٌ ومستعرةٌ؛ فهل سنفيدُ من ماضينـا لحاضرنا ومستقبلنا؛ أم سنكونُ كالتي نقضت غَزْلهَا من بعد قوة أنكاثاً؟!

وليد عبدالماجد كساب

ثغر الإسكندرية – سيدي بشر

الأحد 11 ذو القعدة 1437 هـ

14 **أغسطس** 2016 م

حياة الرافعي: تأريخٌ وأحداثٌ

1230 هـ: وفاة الشيخ عبدالقادر الرافعي الكبير عميد الرافعيين بطرابلس الشام.

1243 هـ / 1827م: هجرة الشيخ محمد طاهر الرافعي إلى مصر وتولَّي قضاء المذهب الحنفي بقرار من السلطان العثماني محمود الثاني، وبه بدأ أول عهد آل الرافعي بمصر حسب رأي البعض، ويُرجِّح بعض الباحثين أن أصلهم مصري وليس سورياً؛ وينتهي إلى قرية (بيسارة) في محافظة أسيوط بصعيد مصر.

1881: مولد مصطفى صادق بن عبدالرازق بن سعيد بن أحمد بن عبدالقادر الرافعي بقرية بهتيم بمحافظة القليوبية بمصر في بيت جده لأمه أسماء ابنة الشيخ أحمد الطوخي.

1314 هـ / 1896 أو 1897م: صدور الطبعة الأولى من مسرحيته (حسام الدين الأندلسي) تقديم الشاعر محمود سامي البارودي، وهي المسرحية التي ظلت غائبة عن خريطة الأدب أكثر من قرن من الزمان حتى أعان الله كاتب هذه السطور فأعاد تقديمها إلى القارئ سنة 1436هـ / 2015م.

1897 – 1898: حصوله على شهادة الابتدائية من مدرسة المنصورة الأميرية، ثم إصابته بمرض التيفود الذي أفقده جزءاً من سمعه.

أبريل 1899: تعيينه بمحكمة طلخا الشرعية، قبل أن ينتقل إلى محكمة إيتاي البارود الشرعية، ثم إلى محكمة كفر الزيات فمحكمة شبين الكوم، وأخيراً محكمة طنطا التي استقر به المقام فيها حتى وفاته.

1903: صدور الجزء الأول من ديوان الرافعي بشرح أخيه محمد كامل

الرافعي، وبتقريظ الشاعر محمود سامي البارودي والشاعر العراقي عبدالمحسن الكاظمي والشاعر حافظ إبراهيم والكاتب والشاعر مصطفى لطفي المنفلوطي، ثم كتب الشيخ إبراهيم اليازجي تقريظاً له في مجلة (الضياء) بعدد يونيو من العام نفسه.

1904: زواجه من شقيقة صديقه الأستاذ عبدالرحمن البرقوقي أحد أعيان كفر الشيخ وصاحب مجلة (البيان) فيما بعد.

1904: صدور الجزء الثاني من ديوان الرافعي.

1905: المعتمد البريطاني اللورد كرومر يُشير في تقرير رفعه إلى الحكومة البريطانية إلى تعاظم دور عائلة الرافعي في القضاء بشكل لافت.

1905: الشاعر العراقي الكبير عبدالمحسن الكاظمي يتأهب لمغادرة القاهرة إلى الأندلس ويكتب للرافعي كتاباً جاء فيه: (ثق أني أسافر مطمئنّاً وأنت بقيتي في مصر).

1905: الرافعي يبدأ معركة (طبقات شعراء العصر) بمقال كتبه مجهَّلاً في (مجلة الثريا) قسَّم فيه شعراء عصره إلى طبقات وجعل نفسه في الطبقة الأولى مع الكاظمي والبارودي وحافظ، واستمرت المعركة عدة شهور وشهدت ردوداً لاذعة في كثير من الصحف والمجلات، وتعتبر هذه المعركة هي البداية الحقيقية للرافعي إذ عُرف من خلالها بشكل أوسع.

1324 هـ / 1906م: صدور الجزء الثالث من ديوان الرافعي.

1327 هـ / 1908م: صدور الجزء الأول من ديوان (النظرات).

1911: صدور كتابه (تاريخ آداب العرب) الذي انقطع لتأليفه منذ منتصف سنة 1909.

1911: معركته مع أحمد لطفي السيد بسبب دعوة الأخير إلى العامية بديلاً للغة العربية الفصحى.

1912: إنشاء كتابه (حديث القمر) وهو أول ما أنشأه الرافعي من أدب الإنشاء، وكان قد شرع في كتابته بعد عودته من رحلة لبنان من العام نفسه.

1332 هـ / 1914م: صدور كتاب (إعجاز القرآن) أول الأمر كجزء من كتابه السابق (تاريخ آداب العرب) قبل أن يتم فصله بعد ذلك ونشره مستقلاً.

1335 هـ / 1917م: الرافعي يُصدر كتابه (المساكين) إثر قيام الحرب العالمية الأولى وما جرَّته من ويلات على العالم والإنسانية.

1920: الرافعي يفقد السمع نهائياً ويبدأ تعامله مع الناس من خلال الكتابة وقراءة حركة شفاه الآخرين.

1339 هـ / 1920م: صدور كتابه (النشيد الوطني المصري) عن نشيد (اسلمي يا مصر) أهداه لسعد زغلول باشا.

1921: الرافعي يهاجم سعد زغلول في مقال بعنوان (جنود سعد) بجريدة (الأخبار) عقب الاعتداء على ابن عمه أمين بك الرافعي، فيما قيل إنه كان بإيعاز من زغلول نفسه.

1921: محاولة لنقل الرافعي إلى أسيوط إثر دسيسة من بعض الناس، وقيل إن سببها هو مقاله (جنود سعد)، ثم توسط البعض لإلغاء النقل إلى أسيوط وجعله مخففاً إلى المنصورة.

1342 هـ / 1923م: اعتماد نشيد الرافعي (اسلمي يا مصر) نشيداً قومياً لمصر، وقد ظل معمولاً به حتى عام 1936.

1924: صدور كتابه (رسائل الأحزان)، وانتقاد الدكتور طه حسين له في

صحيفة (السياسة الأسبوعية).

1924: معركتـه الصحفية مـع الكاتب فكري أباظة، ونشـره مقالاً في يناير من نفس العام بصحيفة الأهرام تحت عنوان (إلى الأستاذ فكري أباظة).

1343 هـ / 1925م: إصدار كتاب (السحاب الأحمر).

1925: تقدمـه لجائـزة القصة التي أعلنت عنها مجلـة (المقتطف) بقصة تحـت عنوان (عاصفة القدر) وإخفاقه في الفوز، واتهامه للجنة بالتحيز في التحكيم.

1926: اعتماد الرافعي شاعراً للملك فؤاد الأول بعد ترشيحه من قِبل محمد نجيب باشا.

1926: نشـوب معركـة الشعـر الجاهلي بـين الدكتور طه حسـين وكثير من رمـوز عصره ومنهم الرافعي، وهي المعركة الأشهر في تاريخ الحياة الفكرية والسياسيـة في مصـر؛ إذ رأى فيهـا الكثـيرون خروجـاً على ثوابـت الدين الإسلامـي الحنيف، وقد جمع الرافعي جُل هـذه المقالات فيما بعد في كتابه (تحت راية القرآن).

1926: سعـد زغلـول باشا يُقـرِّظ الطبعة الملكيـة لكتاب (إعجـاز القرآن) للرافعي بعد فصله عن كتاب (تاريخ آداب العرب)، ويقول مقولته الشهيرة: «كأنه تنزيل من التنزيل، أو قبس من نور الذكر الحكيم».

1926: الأستاذ عباس محمود العقاد ينتقد كتاب (إعجاز القرآن) بصحيفة (البلاغ الأسبوعي) والرافعي يرد عليه بمقال لاذع.

1927: وفاة ابن عمه أمين الرافعي، وهو أحد رواد الحركة الوطنية المصرية، التحـق بـ(الحزب الوطني) مع الزعيـم مصطفى كامل، وزامل سعد زغلول

قبل أن يختلف معه، وهو علم من أعلام الصحافة العربية.

1927 أو 1928: انتخاب الرافعي عضواً بالمجمع العلمي بدمشق، والذي سُمِّي فيما بعد بمجمع اللغة العربية بدمشق.

1928: جمعية الشبان المسلمين تختار نشيد الرافعي (ربنا إياك ندعو) نشيداً رسمياً لها من بين عدة أناشيد تقدَّم بها بعض الشعراء.

1929 - 1930: الرافعي يكتب سلسلة مقالاته (على السفود) بـ(مجلة العصور) باسم رمزي هو (إمام من أئمة الأدب العربي)، وهي المقالات التي أثارت جلبةً كثيرةً في الأوساط الفكرية والأدبية، ثم صدور هذه المقالات في كتاب منفرد يحمل ذات العنوان واللقب.

1930: الشاعر عبدالله عفيفي يحلُّ محل الرافعي شاعراً للملك بإيعاز من الإبراشي باشا.

1930: معركته الأدبية مع الدكتور زكي مبارك على صفحات (مجلة المقتطف)، وقد دارت المعركة حول بداية نشأة فن المقامات المعروف في الأدب العربي.

1930: معركته مع سلامة موسى في مجلة (الفتح) عقب انتقاد موسى له في مجلته (المجلة الجديدة) ورميه بعدة تهم ونقائص.

1349 هـ / 1931م: صدور كتابه (أوراق الورد: رسائلها ورسائله).

1350 هـ / 1931م: الرافعي يكتب نقداً -نُشر في مجلة المعرفة- لكتاب (ابن الرومي) الذي ألَّفه الأستاذ عباس محمود العقاد.

1932: بداية تعرف الأديب محمد سعيد العريان إليه في طنطا، وإلى العريان يرجع كثير فضل في نشر أدب الرافعي والتعريف به.

1933: الرافعي ينتقد (ديوان الأربعين) لعباس محمود العقاد في عدة مقالات مسلسلة على صفحات (البلاغ) نقداً لاذعاً؛ لكنه أقل حدة من السفافيد، ويمكن القول إن هذه المقالات تُفصح عن الرافعي الناقد الحقيقي.

1934: بداية كتابته في (مجلة الرسالة) بدعوة من صاحبها الأستاذ أحمد حسن الزيات، وكان مقال (فلسفة القصة) أول ما كتب، وقد نُشر في العدد الأربعين.

1355 هـ = 1936م: صدور الجزء الأول والثاني من كتابه الأشهر (وحي القلم).

1937: سأله محرر (الدنيا) قبل وفاته بنحو شهرين: بعد الموت ماذا تريد أن يقال عنك؟ فكتب إليه الرافعي مقالاً موجزاً يعتبر من أخريات ما كتب.

فجر الاثنين 29 صفر 1356 هـ / 10 مايو 1937م: وفاة الرافعي إثر سكتة قلبية مفاجئة ودفنه بمقابر العائلة بطنطا.

1937: اندلاع معركة بين الرافعيين والعقاديين إثر كتابة العريان سلسلة مقالاته (حياة الرافعي) في مجلة الرسالة، حيث تصدى له سيد قطب -تلميذ العقاد النجيب آنذاك- مما أثار حفيظة العريان وعلي طنطاوي وانضم إليهم كثيرون.

1360 هـ / 1941م: العريان يُصدر الجزء الثالث من (تاريخ آداب العرب) الذي يحتوي على تاريخ الشعر ومذاهبه والفنون المستحدثة منه.

1942م: العريان يُصدر الجزء الثالث من كتاب الرافعي الأشهر (وحي القلم) ويضم المقالات التي عثر عليها ولم تنشر من قبل في كتب الرافعي.

1371هـ / 1950م: محمود أبورية يُصدر (رسائل الرافعي)، وهو كتاب

يضـم (218) رسالة كتبهـا الرافعي إليه في الفترة من 1912 حتى 1934م، وقد أصدر أبو رية طبعة أخرى متأخرة زاد فيها نحو عشرين رسالة أخرى.

***

مقدمة ديوان (نسيمُ السَّحَر)



ديوان
نسيم السحر
من
كلام الفقير الضعيف
مصطفى صادق
الرافعي
كان الابتداء في كتابته يوم الاحد لاربعة عشر
يوما خلون من شهر محرم الحرام افتتاح سنة
ألف وثلاثمائة وثمانية عشرة
من هجرة خاتم النبيين
صلى الله عليه وسلم
امين

صورة من غلاف الديوان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لمن أجرى سلسال البلاغة من أفواه الشعراء
وهو الله الذي لا إله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة
والصلاة والسلام على منبع الفصاحة العربية سيدنا
محمد وآله وصحابه أما بعد فإن من الشعر لحكمة وإن من
البيان لسحرا وإن أحسنه بيت يقال ما جرت به الألسن في ميادين
الرسائل وما عشى أن يلفظ في مدح كلام حبيب العرب عليه أفضل
في بلوغة القرآن وإعجازه « أم يقولون شاعر نتربص به ريب
المنون » — ذلك البيان جرت في أفراس الشعراء [illegible]

[illegible]

الصفحة الأولى من المقدمة

الصفحة الثانية من المقدمة



(٣)

وقد اصبحت ولله الحمد مع شدو ذكائي في منزلة اذا دعوت فيها الكلام ارتجالا تنتثر بوادره عجالا واول الغيث قطر ثم ينسكب وحازت المنى قواي العقلية بالحكمة وغيرها مما تحصد منه زرع ثمار الفضائل الانسانية اسأل الله المزيد

رب زدني من الفيوضات علما
وارو روحي بمحكم التنزيل
ان علمي يقل عند مرادي
فامح مني شوائب التقليل

طنطا في يوم الاحد ٤ محرم سنة ١٣١٥

مصطفى صادق
الرافعي

الصفحة الثالثة من المقدمة

ديوان نسيم السَّحَر

من كلام الفقير

مصطفى صادق الرافعي

كان الابتداء في كتابته يوم الأحد لأربعة عشر يوماً

خلون من محرم المحرم افتتاح سنة

ألف وثلاثمائة وثمان عشرة

من هجرة خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم

آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أجرى سلسال البلاغة من أفواه الشعراء، وهو الله الذي لا إله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة. والصلاة والسلام على منبع الفصاحة العربية سيدنا محمد وآله وأصحابه أما بعد.

فإن من الشعر حكمةً، ومن البيان سحراً، وإن أحسن بيت يُقال ما جرت به الألسن في ميادين الأمثال، وما عسى أن يلفظ في مدح كلام جعله العرب علة العلل في بلاغة القرآن وإعجازه أَمْ (يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ)[1] ذلك الميدان جرت فيه أفراس الشعراء؛ فمنها السابق واللاحق، والمُقَصِّر والواقف، والقوي والضعيف، شأن العامل في كل عمل، أما ما عدا الأول فلا تذكر درجة، ثم هو بعد ذلك درجات ومناصب، والسابقون السابقون أولئك هم المقربون.

(1) سورة الطور / 30.

وليس من الشعر إلا ما كان مطبوعاً لا تشوبه نقيصة التكلُّف، ولا تدنسه وصمة المجاهدة، على أن هذا وإن جاء تارة في لباس ذلك إلا أنه حكى ولكن فاته الشنبُ، أما وإن مما أنعم ذو الفضل العظيم على كاتب هذه الأسطر أن وهبه تلك المَلَكَة، ولا أقول ذلك افتخاراً ولكن (وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ)[1].

وشيء حسبته لتسلية!

ولا صديقَ إليهِ مُشتكى حَزَني،

ولا أنيسَ إليه مُنتَهَى جَذَلي

لا يسعني أن يكون طعمة الضباع الضياع؛ بل لا يسعني إلا أنه أعد له المكانة الرابعة من حافظتي بعد كلام الله ورسوله ومَنْ سَبَقَ من المتقدمين، ولا غرابة إن قيدت ما سُرد منه في هذا الكتاب.

على أني لم أتحقق أني حللت ذلك المنزل فإني أضرب الآن في العشرين من العمر، وما كان السابق مدة تُذكر، فلا والله ما أعدها إلى سنة أو بضع سنة.

وهنا أثبت كلمة تُذكرني الأمر فيما بعد، يوم يكون لهذا الديوان إن شاء مَنْ وَهَبَ المنزلةَ الأولى بين أدباء العصر. يوم أنزل في اللغوب لجمعه وترتيبه بقواي لا أستثني منها شيئاً (وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ).[2]

مجمل من ترجمة الحياة

نشأتُ بقرية بهتيم من أعمال مصر في الثامنة والتسعين بعد المائتين والألف —ولستُ أذكرُ شهر الميلاد ولا اليوم— من أب شامي من طرابلس، ووالدة مصرية من بهتيم تولَّاها الله برعايته، ثم حُملتُ بعد ذلك إلى المكاتب

(1) 2 سورة الضحى / 11.

(2) 2 سورة الحجر / 56.

لحفـظ القـرآن؛ وكان من توفيـق الله أن حفظته مجـوَّداً في الحادية عشرة من سنّي.

ثم نُقلتُ بعدها إلى المدارس وبقيتُ فيها إلى الثامنة عشرة، حتى إذا آنَ وقتُ الخروج منها بانتهاء الدراسة كانت في يدي شهادة تُثبتُ الكفاءة منها، وأنا الآن أكاد أقطـعُ العشريـن، وما بين زمن النشوء لهـذه المدة أمراض تتناوب هذا الجسد النحيل نسألُ الله أن يقطع دابرها.

أمـا العلوم؛ فقد تناولـتُ الأدبيات بنفسي؛ لم يرشـدني في ذلك أستاذٌ، ولا علَّمني إنسانٌ، ومن آتاه الله من فضله استغنى عن المخلوقين.

وقـد أصبحتُ -ولله الحمد- مع سنِّي ذلك في منزلة إذا دعوتُ فيها الكلامَ ارتجالاً أتتني بوادره عِجَالاً، وأول الغيث قطرٌ ثم ينسكب.

ومـا زلت أُنَمِّي قـواي العقلية بالحكمة وغيرها مما تحصـد من زرعه ثمار الفضائل الإنسانية. نسأل الله المزيد.

رب زدني مـن الـفـيـوضـات علماً

وارْوِ رُوحـي بمـحـكـم الـتـنـزيـلِ

إنَّ عِـلـمـي يـقـلُّ عـنـد مُـرادي

فـامـحُ مـنـي شـوائـبَ الـتـقـلـيـلِ

مصطفى صادق الرافعي

طنطا في يوم الأحد 14 **محرم** 1318

المقالات المجهولة

شعراء العصر[1]

قـرأت في بعض أعداد (الثريَّا) كلمة عـن الأدب قديماً وحديثاً؛ فقلت كلمة مألوفـة ولم ألبث أن رأيت جملة أخرى لأديب غيـور على الشعراء كان رأس الشعـر بين أولِها وآخِرِها، كأنما خدش بين حجرين؛ فقلت إني أنظم الشعر فأُسـرّ، وأقـرأُ عنه فأُسرّ، فمالي لا أنفثها والقوم قـد أصبحوا يتنافسون في أسماء الشعراء كمـا يتنافسون في ألقاب الأمراء، وقد استويا في الزُّور، فلا أكثر أولئك شاعر، ولا أكثر هؤلاء أمير.

ثـم رأيت بعد أن عـزم الله لي كتابة هـذا المقال أن أتركه بغـير توقيع، وإن كنـت أعلـم أن أكثر من يقرأونه كذلك سيخرجون مـن خاتمته كما لو كانوا أمِّيِّين لم يقرأوا فاتحته، فإن الحكمة كلَّها والمعرفة بجميع طبقاتها أصبحت في أحـرف الأسمـاء، فـإن قيل: كتاب لفـلان؛ قلنا أين يبـاع؟! وإن كان من سقط المتاع، على أن اسمي قد لا يكون في غير بطاقتي، وكتبي إلى أصحابي القليلـين، وفي سجل بعض الجرائـد والمجلات، فليظنني القـارئ ما ضرب على رأسه الظن.

كان يقـال قبل أن تبلى عظام الأدباء: مغرسُ الشِّعر القلبُ، وزارعُهُ الفكرُ، وقيِّمُـه العقل، وزهرُه الإعرابُ، وثمرُه الصـوابُ، وجانيه اللسانُ، فأنت ترى أن مما يشترط لكمال الشاعر أن يكون ذا قلبٍ قد وسع منه الاختبار فتقلبت فيـه المعاني مـن كل طائفة، وفكرٍ قادرٍ بما اكتسب من القوة أن يكره ما شاء مـن المعـاني على التجلـي؛ فيأخذ منهاً ويـدع، ومع ذلك عقـل يتعهد الفكرَ

(1) مجلة الثريّا، الجزء التاسع، السنة السادسة، يناير 1905م.

فيسقيـه، والقلبَ فيزيد فيه، فإذا جرى الـكلام على إعرابه في لغته، ووقف مـن غايته عند حد الصواب؛ تناوله اللسان بأسَلَتـه[1]، ومرَّ به فكان شعراً، ولذلـك لا يكون مـن الشعر ما إذا نطقـتَ به لا تشعر بقلبـك يهتزُّ، وفكرك يتحـرَّك، وعقلـك يتنبَّه، ولسانك برنـين معانيه كأنه جرسٌ يـدقُّ، وإذا كان الشـرط ثقيـلاً كما علمت؛ ربما لا يكون عنده في هـذه الأمة أكثر من أصابع الكـفّ، فما الذي يحمل الناس على الغرور والدعـوى حتى ليمكنك أن تضع معجماً ضخماً من أسماء شعراء اليوم؟!

لعـلَّ ذلك لأن أكثرهم يجد السبيل إلـى النظم أسهل مما يتصور، فهو يرى أنه إذا كتب كلمات يذكر فيها الخَدَّ والورد، والقَدَّ والنَّهْد، ويذيب فيها قلبه، ويشـق مرارته، ويلعـن الدهر وحكمه، والحظَّ ونجمـه، ثم يقول فلان كريم كالبحر، وذلك لئيم كالدهـر، ويبكي الدار ومَنْ بنى الدار، أو يرتقي فيذكر بعضـ المخترعات كيف جاء بها الوزن، واتَّفقـت معها القافية، على شريطة أن يتجنَّـب في ذلـك مثل (المنسـرح) وضروب بعض الأبحـر؛ لئلا تموج في صحيفتـه، فقد أصبح شاعراً (تحـت التجربة)، ولكن متى اهتدت يداه إلى بعضـ الدواوين أو اختلفـت عينه إليها، وكتبتْ عنـه إحدى الصحف: (قال يمدح، أو قال يهنئ، أو عثرنا، أو وقفنا... إلخ إلخ)، فتلك الشهادة الناطقة بـأن اسمه قد أُضيف إلـى الأسماء الخالدة في سجل الدهر، وأصبح لا يُقال له إلا (الشاعر المجيد...).

هـذه حالـة كثيرين من القوم لا يقولـون إلا الشعر الفاتـر، يستدفئون به في الشتاء، ويَخرَجُون[2] عقول الناس في الصيف، وليتهم يعرفون نصيحة (أبي

(1) الأَسَلَةُ مُستَدقُّ اللسان والذراع.

(2) يعني يمسحون؛ ففي التهذيب: خَرَجَتِ السماءُ خُروجاً إذا أَصْحَتْ بعد إغَامَتِهَا.

العبر)، وإن كان أحمق، فقد قالها منذ ألف وأكثر من مائة سنة لمحمد بن مبروك الشيباني، قال له: «بلَغَني أنَّك تقول الشعر، فإن قدرت أن تقوله جيِّداً جيِّداً، وإلا فليكن بارداً بارداً، وإياك والفاتر فإنه صفعٌ كله».

وسأذكر في هذه الأسطر كلَّ مَنْ عرفته، أو اتصل بي اسمه من الشعراء وأقطع عليه رأيي، فإمَّا وسعه فكمل به، وإمَّا أظهره كما هو في نفسه، لا كما هو عند نفسه، ولذلك فقد ضممتهم إلى ثلاث طبقات وجاريت في تسمية بعضهم بالشعراء عادتنا المألوفة:

الطبقة الأولى

1 - الكاظمي[1]: هو رجل من العراق قدم على مصر من بضع سنين، ولم يزل فيها إلى اليوم، ولا أراني مبالغاً إذا قلت إنه ليس أحدٌ أحقَّ باسم الشاعر منه بيننا. فهو طويل النفس، قوي العارضة، حاضر البديهة، رفيع الخيال، لا يتعاصى عليه معنى، ولا يلوذ عنه فكر.

ثم هو يمتاز عن غيره بحسن الإنشاد على غير ما نرى من باقي الشعراء الذين تعترض أنفسهم في مجاري أنفاسهم، فلا يتم أحدهم البيت حتى ينتفض وريده، ولمَّا حَلَّ هذا الشاعر في مصر، وسمع به القوم؛ هرع إليه كل الفضلاء، وكلهم أصبح له صديقاً، ولقد لقَّبه المرحوم محمود باشا البارودي بـ(ماكينة الشعر)؛ لأنه متى شاء نظم، وقلَّ أن تنزل له قصيدة عن سبعين بيتاً نصفها جيد مختار، مع أنك تقرأ لغيره القصيدة في ثلاثين

(1) عبدالمحسن الكاظمي (1282 - 1354 هـ / 1865 - 1935 م): شاعر عراقي شهير، امتاز بارتجال القصائد الطويلة، اتصل بجمال الدين الأفغاني، ثم جاء إلى مصر في أواخر سنة 1316 هـ فاتصل بالشيخ محمد عبده، وسعد زغلول وغيرهما، وتوفي في مصر. لُقِّب بشاعر العرب (الأعلام للزركلي 4 / 152).

وأربعين وأكثر، لا تختار منها أكثر من خمسة إلى عشرة أبيات.

وللكاظمي أدب نفس عجيب، فهو الحري بقول أنوشروان: «عجبتُ لمن يشهره الأدب، كيف تدعوه نفسه إلى مكرمة»، والرجل ضنين بشعره كل الضَّنِّ، فلا يذيله إنشاءً ولا إنشاداً، ولذلك لم أطَّلع منه إلا على القليل، ومنه هذه الأبيات قالها من قصيدة يُعاتب بها كبيراً من كبراء مصر ويتهكم عليه، وكان قد وعده وأخلفه:

ومن عجب لي تُعزَى البحارُ
وأرضَى من الماءِ بالجدولِ

وأصبرُ منه على حالةٍ
على مثلِها الصبرُ لم يَجْمُلِ

برغمي أصبحتُ أدعو الكريمَ
بين البرية بالأبخل

أعرني وجهاً يقدُّ الصَّفَا،
ويقسمُ في الناس من جندلِ

وقُل لي كيف أُلاقي الورَى
إذا قلتُ قولاً ولم أفعلِ

سألتُك فانهجْ معي غيرَ ذا،
ولولا ودادُك لم أسألِ

وإنْ أنتَ لم تلو عن خطةٍ
تعسَّفَ في ليلها الأليلِ

فعندي من العُتب مشبوبةٌ
وأخشى بجمرتِها تصطلي
فلا تتركني بفصل الخطاب
أحزُّ بكفّي في مِفْصلي
أعيذُك من قلم إنْ طغى
على الطِّرْسِ طوَّح بالمقتلِ
فبيناه من عسل نَاطف
إذا هو يقذفُ بالحنظلِ
إذا أنا أرسلته للكفاح
بجعد من القولِ أو مرسلِ
تهبُّ قوارصُهُ العاصفاتُ
وتعصفُ بالشامخ الأطولِ
وكيف أخافُ عليه العِثَارَ
وهذي قوائمُهُ أنمُلي

ولو لم يكن له غير هذا البيت العجيب لكفاه، وهو قادرٌ على الارتجال قدرةً انفرد بها عن جميع الشعراء المعاصرين، ومن ذلك أنه رأى ذات مرة مليحاً يمر بين أشجار روضة كان بها مع جماعة من صحبه؛ فنظر إليه؛ فخجل الفتى، ثم تلهَّى بقطف وردة من غصنها؛ فارتجل الشاعر أرجوزة منها:

وشادنُ مَرَّ مع الظباء
يمرحُ في خميلةٍ غَنَّاء

أخجلتُهُ فعادَ من حياء
يقتطفُ الوردَ وعينَ الرائي
تقطف من وجنته الجمراء

هذا هو شاعر الطبقة الأولى، على أن الشعر ما قدمناه في صدر الكلام، وهنا ربما اعترض بعض من يعرف الرجل؛ فيقول لماذا لا ينظم في الأغراض الجديدة على نحو ما ينبغي أن يتجدَّد الشعر بحسب انقلاب الحال وتبدُّل الأيام؟ ولمثل هذا المعترض أقول إن في مجال الكاظمي متسعاً لكل غرض كما يُعرف من أسلوبه وتنهض بحجته تلك المقدرة التي تشاهدها في كلامه، ولكن له أحوالاً تسوق نفسه إلى حيث تبدأ بالتنفس، ولو بلغ من أفاضل قومنا أن يعتبروا الشعر فناً بذاته داخلاً في أصول التهذيب كما هو الشأن عند غيرنا لصح ذلك الاعتراض، ونحن إنما نتكلم عن أحوال الشعراء كما هي قائمة بهم، لا كما هم قائمون بها.

2 - البارودي[1]: اتفق لهذا الشاعر -رحمه الله- ما لم يكن لغيره، فلا نذكره بغير الحسنى، وقد لبث يقول الشعر زهاء نصف قرن، ومع ذلك لم ينظم أكثر من ألفي بيت إلا قليلاً، ولكن أكثرها جيدٌ بديعٌ، وإنَّما فضَّلنا عليه الكاظمي؛ لأن الشعر كان عصيّاً عليه في أكثر أيامه بخلاف الأول، وكان قد بدأ ينقض معلقة عنترة منذ ثلاث سنوات، ومات -رحمه الله- ولم يتمها، ومن هذه القصيدة:

(1) محمود سامي البارودي باشا (1255 - 1322هـ / 1839 - 1904م)، جركسيٍ الأصل، مصري المولد، ينتسب إلى (إيتاي البارود) بمحافظة البحيرة، التحق بالمدرسة الحربية، تقلَّد عدة مناصب آخرها رئاسة النظار، ساند الثورة العرابية، ثم نفاه الإنجليز إلى جزيرة (سيلان) سبعة عشر عاماً، وعاد إلى مصر، وإليه فضل بعث الشعر العربي في العصر الحديث، توفي بعد ما كف بصره (معجم المطبوعات العربية 2 / 513).

كم غادرَ الشعراءُ من مُتردَّم
ولَرُبَّ تالٍ بزَّ شأوَ مُقدَّم

في كلِ عَصرٍ عبقريٌّ، لا يَني
يفرى الفري بكل قول محكم

وَكفاك بي رجلاً إذا اعتقل النهى
بالصمت، أو رَعَفَ السنان بعندم

إلى أن يقول في وصف مصر، وهو البيت البديع فيها:

هي جنةُ الحسنِ التي زهراتُها
حُورُ المَهَا وهزارُ أيكتها فمي

وله هذه القصيدة يعارض بها قصيدة أبي فراس الحمداني، وهي من آيات سحره وبديع شعره:

طَربتُ، وعَادَتني المَخيلة والسُّكْرُ
وَأَصْبَحْتُ لاَ يُلْوِي بِشيمَتِي الزَّجْرُ

كَأَنِّيَ مَخْمُورٌ سَرَتْ بِلِسَانِه
مُعتَّقة ممَّا يَضنُّ بها التَّجْرُ

صَرِيعُ هوىً، يُلْوِي بيَ الشَّوْقُ كُلَّمَا
تَلأْلأَ بَرْقٌ، أَوْ سَرَتْ دِيَمٌ غُزْرُ

إذا مَالَ ميزَانُ النَّهارِ رَأَيْتُني
على حَسراتٍ لا يُقاومُها صَبرُ

يَـقـولُ أنـاسٌ إنَّـــهُ الـسـحـرُ ضَـلَّـةً
وَمَـا هـيَ إلاَّ نَـظْـرَة دُونَـهَـا الـسِّـحْـرُ
فَكَيْفَ يَعيبُ النَّاسُ أَمْـري، وَلَيْسَ لي
وَلاَ لامْـرِئ فِي الحُـبِّ نَهْيٌ وَلاَ أَمْـرُ؟!
ولَـــو كـــانَ ممَّـــا يُـسـتـطـاعُ دفـاعـهُ
لألْـوَت بـه الـبـيضُ المباتـير والسُّمرُ
وَلَـكـنَّـهُ الْحُـبُّ الَّـــذي لَـوْ تَـعَـلَّـقَـتْ
شـرارتـهُ بـالجـمـر لاحـتَرَقَ الجـمـرُ
عَلَـى أنَّـنـي كَـاتَمْـتُ صَـدْرِيَ حُـرْقَـة
مِنَ الْوجْد لاَ يَقْوَى عَلَى مَسِّها صَدْرُ
وَكَفْكَفْتُ دَمْعـاً، لَـوْ أَسَلْتُ شُؤونَهُ
عَلَى الأَرْض مَا شَكَّ امْرُؤٌ أَنَّـهُ الْبَحْرُ
حـيـاءً وكــبـراً أن يـقـالَ تـرجَّـحـت
به صَبوةٌ، أو فلَّ من عزمه به الهَجرُ[1]
وإنِّـــي امــرؤٌ لـولا الـعـوائـقُ أذعَـنـت
لسلطانه الـبـدو المُغـيرَة والحَضـرُ
مِـنَ الـنَّـفَـر الْـغُـرِّ الَّـذيـن سُيُوفُهُمْ
لَهَـا فِي حَـوَاشـي كُـلِّ دَاجـيَـة فَـجْـرُ
إذَا اسْتَلَّ مِنْهُمْ سَيِّدٌ غَرْبَ سَيْفه
تَـفـزَّعـت الأفـــلاك، والـتـفـتَ الـدهـرُ

(1) في الديوان (أو فلَّ من غَرْبِه الهَجْرُ)، وغرب كلِّ شيء حدُّه.

لَهُمْ عُمُدٌ مَرْفُوعَةٌ، وَمَعَاقِلٌ
وألويةٌ حُمرٌ، وأفنيَةٌ خُضرُ

وَنَارٌ لَهَا فِي كُلِّ شَرْقٍ ومَغْرِب
لِمُدَّرِعِ الظَّلْمَاءِ أَلْسِنَةٌ حُمْرُ

تَمُدُّ يَداً نَحْوَ السَّمَاءِ خَضِيبَةً
تصافحها الشِّعرَى، ويلثمُها الغَفرُ

وَخَيْلٌ يَرُجُّ الْخَافِقَيْنِ صَهِيلُهَا
نزائعُ معقودٌ بأعرافِها النَّصرُ

مُعَوَّدة قَطعَ الفيافِي، كأنَّها
خُداريَّةٌ فتخاءُ، ليسَ لَها وكرُ

أقاموا زماناً، ثمَّ بدَّدَ شملهُم
أخو فتكاتٍ بالكرامِ اسمه الدهر

فلم يبقَ منهُم غيرُ آثارِ نعمَةٍ
تضوعُ بِريَّاها الأحاديثُ والذكرُ

وَقَدْ تَنْطِقُ الآثَارُ وَهْيَ صَوَامِتٌ
ويُثنى بريَّاهُ على الوابلِ الزَّهرُ

لَعَمْرُكَ مَا حَيٌّ وَإِنْ طَالَ سَيْرُهُ
يُعدُّ طليقاً والمنونُ لهُ أسرُ

وما هذه الأيامُ إلاَّ منازلٌ
يَحُلُّ بِها سَفْرٌ، وَيَتْرُكُهَا سَفْرُ

فلا تَحسبنَّ المرءَ فيها بخالدٍ
وَلكنَّهُ يَسْعَى، وَغَايَتُهُ الْعُمْرُ

3 – حافظ[1]: هو المشهور بأنه شاعر مصر في هذه الأيام، وقد أخذ بيده فنصَّبه للناس حكيم الشرق الشيخ محمد عبده، ولحافظ خواطر جميلة وبعض معانٍ سامية، ولولا أنه يتبع خطوات البارودي في النظم ويسبك بيده قصائده، ما عُدَّ من الطبقة الأولى، وفي الرجل روية وأناة، وهما اليدان اللتان ينفلت من بينهما الشعر في أكثر الأوقات، ولذلك تراه مقلّاً؛ وهو عيبه، فإن الشعر إنَّما هو شعور النفس وهي تشعر بكل شيء، فينبغي أن يكون الشعر في أكثر ما تشعر به، وأن يتناول المهمَّ من كل غرض، وهو بخلاف ذلك مع هذا الشاعر، على أن له حسنات تستر ما دونها، وأكثر شعره في هذه الأيام أضعف من قبل، ولعلَّ أحسن ما نختاره له هذه الأبيات من قصيدة قالها في مديح المفتي الحكيم:

كَأنَّ فُؤادي إبرَةٌ قَد تَمَغطَسَت
بِحُبِّكَ أَنّى حُرِّفَت عَنكَ تَعطِفُ
كَأَنَّ يَراعي في مَديحِكَ ساجِدٌ
مَدامِعُهُ مِن خَشيَةِ اللَهِ تَذرِفُ
وأزهر في طرسي يراعي وأنملي
ولفظي فبات الطرس يجنى ويقطف

(1) محمد حافظ إبراهيم (1287 – 1351هـ / 1871 – 1932م)، الملقب بشاعر النيل، ولد بمصر، والتحق بالمدرسة الحربية، وتخرج سنة 1891، وسافر مع حملة السودان، عمل (مُحرِّراً) في جريدة (الأهرام)، له (ديوان حافظ)، وترجم رواية (البؤساء) لفيكتور هيجو، وله (ليالي سطيح)، وغير ذلك. (الأعلام للزركلي 6 / 76).

والذين لم تستقم ألسنتهم ولم تزل أفكارهم على سقم يقولون إن شعر حافظ اليوم خير منه في ديوانه الأول، وذلك لأنهم لا يدركون موقع الخيال الشريف، ولا يهتزُّون للمعنى البكر إلا في اللفظ (الثيب)، وهؤلاء يُفضِّلون (شوقي) عليه، وهيهات (بعد أن استنوق الجمل).

4 - الرافعي: لو كان هذا الشاعر كما أسمع عنه؛ فإني أكون قد ظلمته إذ لم أقدِّمه عن هذا الموضع، فقد أُخبرت أنه لم يُتم الرابعة والعشرين من عمره، ولذلك فإني لا أكتب عنه إلا ما أعرف من شعره سواء كان فتىً أو كهلاً، وهو قد طبع من ديوانه الجزء الأول من سنة مضت، وذكر في مقدمة شرحه أنه نظمه في عامين، وأنه لم يقل الشعر إلا منذ ثلاث سنوات من طبع ذلك الجزء، ولم ألبث أن رأيت منذ أشهر في بعض أعداد (مجلة الجامعة) تقريظاً مسهباً جدّاً للجزء الثاني من ديوان هذا الشاعر؛ فأكبرتُ ذلك، ولا شكَّ أنه ينظم اليوم الجزء الثالث قياساً على ما تقدم، وقد نشر أخيراً قصيدة عنوانها (بور آرثر) تهكَّم فيها على أسطول البلطيق وطوافه حول أفريقيا وضربه مراكب الصيادين بقوله:

أظنه شاعراً ما إنْ يلذَّ له
من بورت آرثر إلا أن يرى طللا
مشى على الماء رطباً من نضارته
فكلما هبَّ ريح نحوه سعلا

وهنا غاية الإبداع، ولولا أني من أنصار الروس والمُتحزِّبين لهم؛ لكتبتُ أكثر مما كتبت، ومما امتاز به هذا الشاعر وَلَعُهُ الشديد بالغزل، وبلوغه فيه أسمى ما يبلغه النَّظم، وله مزية أخرى وهي غوصه على المعاني في الأغراض

التي لم تُطرق، وكثيرون يعدُّونه بذلك شاعر مصر، وديوانه معروف، وشعره منشور، ويُعجبني ما نشرته له (الثريا) في عددٍ مضى، وهو قوله في الشكوى:

السعد في فلك النحس

بالغ منه حزنه

أنىَّ تقلَّب في الأفق

فهو واللون لونه

مثل الغراب سواء

ظهر الغراب وبطنه

الطبقة الثانية

1 - صبري[1]: إسماعيل باشا صبري من أبلغ الشعراء وأسماهم خيالاً، ولكنه صُرف عن الشعر بالقانون وغيره؛ فاضطرب سبكه، واعتاصت عليه القوافي، ولم نقرأ من شعره شيئاً كثيراً إلا طرفاً يدلُّ على ما ذكرنا، كقوله في قطعة سُئل أن يجمع بها بين الأسلوب العربي والغربي تنقل إلى الفرنساوية:

يا لواءَ الحسنِ أحزابُ الهوى

أيقظوا الفتنة في ظل اللواء

فرَّقتهم في الهوى ثاراتُهم

فاجمعي الأمرَ وصوني الأبرياء

---

(1) إسماعيل صبري باشا (1270 - 1341هـ / 1845 - 1923م): من الشعراء المرموقين في عصره، ولد ومات بمصر، درس الحقوق بفرنسا وكان صديقاً لمصطفى كامل، وتدرج في مناصب القضاء بمصر، فعُين نائباً عمومياً، فمحافظاً للإسكندرية، فوكيلاً لنظارة (الحقَّانية)، له ديوان يحمل اسمه (الأعلام 1 / 315).

إن هذا الحسنَ كالماء الذي
فيه للأنفس رِيٌّ وشفاء
لا تذودي بعضنا عن وِرده
دون بعض واعدلي بين الظماء
أنتِ يَمٌّ الحسن فيه ازدحمت
سفن الآمال يزجيها الرجاء
يقذف الشوق بها في مائج
بين لجين عناء وشقاء
شدة تمضي وتأتي شدَّةٌ
تقتفيها شدّةٌ هل من رَخاء؟
ساعفي آمال أنضاء الهوى
بقَبولٍ من سجاياك رُخاء
وتجلَّي واجعلي قومَ الهوى
تحت عرش الشمسِ في الحكم سواء
أقبلي نستقبل الدنيا وما
ضُمنته من معدّات الهناء
واسفِري تلك حُلى ما خُلقت
لتُوارى بلثامٍ وخباء
واخطري بين الندامَى يحلفوا
أن روضاً راح في النادي وجاء

وابسمي، من كان هذا ثغره
يملأ الدنيا ابتساماً وازدهاء
أنت روحانيَّة لا تدّعى
أنَّ هذا الشكل من طينٍ وماء
وانزعي عن جسمك الثوب يبن
للملا تكوينُ سكان السماء
وأرِي الدنيا جَناحَي ملكٍ
خلف تمثالٍ مصوغٍ من ضِياء

2 - شوقي[1]: سيأخذ بعض القراء العَجَبُ إذا رأى شوقي بك في الطبقة الثانية وهو هو شوقي بك شاعر الحضرة الفخيمة الخديوية، ولكنا نعجب أكثر منه إذْ رأينا الشوقيَّات قد انقلبت إلى شوكيات، فأي ذوق سليم يطمئن لهذه المعاني المكررة، وتلك الألفاظ النافرة من مثل (قضى أريحي القوم) وغيرها، ولا أدري لهذا الانقلاب سبباً إلا إذا صح ما يُقال من أن (صبري وسلمان) كانا يهذبان شعر الرجل من قبل، وهو قول لا أجزم به، ولا أرفضه.

ومهما يكن من الأمر فهو شاعر من الطبقة الثانية على رغم من يرفعه إلى الأولى، وإنما اشتهر قديماً يوم كان الكاظمي في العراق، والبارودي في سيلان، وصبري من مهذِّبي شعره -على ما يقال-، وحافظ في السودان،

(1) أحمد شوقي (1285 - 1351هـ / 1868 - 1932م)، ولد وتوفي بمصر، ولقب بأمير الشعراء، أرسله الخديوي توفيق لدراسة الحقوق في فرنسا، ثم عُين رئيساً للقلم الإفرنجي في ديوان الخديوي عباس حلمي. سافر إلى إسبانيا سنة 1915 بعد تنحية الخديوي عباس حلمي، وعاد في أواخر سنة 1919 فجُعل من أعضاء مجلس الشيوخ إلى أن توفي. طبع شعره (الشوقيات)، وله عدة مسرحيات شعرية. (الأعلام 1 / 136).

والرافعــي لم يقل الشعر بعد –على ما قيــل لي–، وأثبت له الشهرة إضافتُه إلى الحضرة الخديوية على نحو ما يذكر النحاة في باب (الجر بالمجاورة)، ولا أنكــر أن لــه سرقات؛ ولكن غيره أيضاً لم يسلــم، ولذلك لم نتعرض لها. أمــا مختاراته من شعره الجديد، فلا نجــد في قصائده شيئاً يختار إلا رسّاً من الحكمة وله أصل معروف.

ومنــذ خمســ سنوات كان الرجل لا يــزال مجيداً، ويومئذٍ قــال هذه الأبيات البديعة من قصيدة في رثاء المرحوم حبيب باشا مطران:

يــهــزل الــعــيــش والمــنــيــة جــدُّ

وتــضــل الحــيــاة والمــوت هــاد

وخفوق الــفــؤاد في ساعة التكوين

داع إلى ســكــون الــفــؤاد

تطلع الشمس بالفناء علينا

وعــلــى الــقــادمــين بــالمــيــلاد

فــإذا جــدَّدت فــأبــلــت فــأعــيــت

جــاءهــا حــيــنــهــا بــلا مــيــعــاد

فكيف هذا الانقلاب وخمس سنوات لا تبلغ العمر الذي ينطق فيه الصبي؟!

3 – مطــران[1]: لهــذا الشاعر وَلَــعٌ بانتهاج أساليب الفرنجــة في شعره، فهو ينظمــه قصصــاً علــى أساليب تحمل مــا يحملها من غــزل وحكمة ووصف

(1) خَليــل مُطْران (1288 – 1368هــ / 1871 – 1949م): شاعر وكاتب ومترجم، لقب بشاعر القطرين، ولد في (لبنــان)، سكــن في مصر، وتولى تحرير جريدة (الأهرام) بضــع سنين، ثم أنشأ (المجلة المصرية) وبعدهــا جريــدة (الجوائب المصرية) التي ناصر بهــا مصطفى كامل باشا في حركتــه الوطنية، وتوفي بالقاهرة. (الأعلام 2 / 320).

وغيرها، أما الغزل فليس له فيه ما يرفعه فوق من قبله وهو لا يحسن الحكمة والمثل كغيره من أولئك؛ ولكنه يجيد الوصف إجادة بالغة قد يفوق بها غيره أحياناً، ولولا نفورٌ في بعض عباراته وقلق في أكثر قوافيه بحيث يذهب التأثير المقصود بالشعر؛ لكان من أفراد الطبقة الأولى؛ ولكنه كذلك ينظم.

على أن أسلوبه يستحسنه الكثيرون من نابتة العصر ونشء هذه الأيام، ويودُّ بعض اللُّكْنِ[1] لو جرى الشعر كله على ذلك النحو، ومن مختارات مطران قوله في رثاء المرحوم تقلا باشا صاحب جريدة الأهرام:

ومن لم يمت بالداء فالطبُّ لم يزل

سلاح المنايا في يدي كل جاهل

وهذا البيت هو المختار من تلك القصيدة، وهي في خمسة وثلاثين بيتاً، ثم هو وإن كان ينظر إلى قول الآخر:

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره

تنوعت الأسباب والموت واحد

إلا أن معناه الواقع يشفع له، ولمطران تحت عنوان (آدم وحواء) قطعة فيها أبيات غاية في الإبداع منها في وصف الروض:

تجري سواقيه فعابسة

فيها الظلال ويضحك الحجرُ

وكأنَّما نسماته كَلِمٌ

وكأنَّما نفحاته فِكَرُ

---

(1) اللُّكْنُ واحدها أَلْكَنُ؛ وهو من لا يقيم العربية لعجمة لسانه.

إلى أن يقول:

حـــواء مـــا أغـــويـــت آدم بـل
أحـبـبـتـه والـصـبـوة الـعـمـرُ

مـن لم يـحـب فـمـا الـصـفـاء لـه
صـفـو ولا أكـــداره كـــدرُ

ويـــرى الحـيـاة ولا يـعـيـش كما
مـــرَّت عـلـى مـرآتـهـا الـصـورُ

4 – داود عمون[1]: وهذا الشاعر من البارعين، إلا أن من مغامزه إساءة الاقتباس، وسوء الابتداع، وقلق السبك في الكثير، وكنا نودُّ أن نستشهد له بقول، ولكن لم تبق بعد مطران فائدة في الاستشهاد، إمَّا لقلَّة ما نجد من المختار، أو تجنُّباً لتوفير هذا المقال، فإنا لو أجرينا آخره على طريقة أوله؛ لكسرنا على ذلك مجلداً برأسه، ولكنَّا نمرُّ بالشعراء الباقين مرّاً، وإنما الغرض تبيان الرأي لا إطالة البيان.

5 – البكري[2]: شعر هذا الرجل قليل، وهو مع قلته مغتصب مُكره على البقاء في جلده، ويقلُّ فيه الجيِّدُ الرائع، وإن كانت مغارسه كثيرة، وقد نال البكري

(1) داود أنطون عمون (1286 – 1341 هـ / 1869 – 1922 م): ولد في (لبنان) وتوفي بها، قضى عدة أعوام في تونس والقاهرة، عمل بالمحاماة، وحاز شهادة في الشريعة الإسلامية بمصر، كافح كثيراً من أجل استقلال بلاده من الاحتلال الفرنسي، وعمل مديراً للمعارف في لبنان. (الأعلام 2 / 331، ومعجم البابطين 7 / 534 – 537).

(2) محمد توفيق البكري (1870 – 1932م) :كاتب وشاعر مصري، من الأسرة البكرية المعروفة بمصر، إليهم انتهت مشيخة الصوفية لسنوات طويلة. تولى نقابة الأشراف ومشيخة المشايخ سنة 1309هـ وعين عضواً دائماً في مجلس الشورى والجمعية العمومية، وكان يجيد الفرنسية والتركية، ويتكلم الإنجليزية. أسَّسَ أوَّلَ مجمع للغة العربية، من كتبه (صهاريج اللؤلؤ) و(أراجيز العرب) و(فحول البلاغة) (الأعلام 1 / 65).

الميداليــة الذهبية على قصيــدة قدَّمها في بعض أعيــاد الجلوس الخديوي، ونالها معه حافظ، ولكنَّا سمعنا همساً أن القصيدة لـ......، وكان منها:

لئن سلمت أطلالها من يد البلى

فقلبي على أطلالها غير سالم

ذلك يوم أخذت مصر زخرفها وازينت حديقة الأزبكية.

6 - نقــولا رزق الله[1]: شاعــر يرســل القــول فيجري بك جرياً قَــلَّ أن تسلم فيــه من العثار، ومعانيه الجيدة قليلة، ونسبتها إلى أبياتها نسبة الواحد إلى العشريــن، وهــو ينتهج الأساليب التــي ينتهجها مطــران، ولكن هذا خفيف يطير طيراً.

7 - أمــين الحداد[2]: مــا أدري أظلمته في وضعه هذا الموضع أم وفَّيتُه الحقَّ، ولكنــه لا يتقــدم مطران، وشعــره يظهر فيه كدُّ الذهن، ولــه معانٍ تُوجب له اسم الشاعر لو أنها أطاعته على ما يريد.

8 - محمــود واصف[3]: شاعر قديم، ضربــه الزمن ضربة قوَّمت من لسانه،

---

(1) نِقُولا رِزْق الله (1870 - 1915 م): ولــد في بــيروت وتــوفي بالقاهــرة، شاعــر وقاصٌّ ومترجــم. اشتغل بالصحافــة وعمــل في صحيفة (الأهرام). وأصــدر مجلة (الروايات الجديدة) سنــة 1910، وله ديوان (مناجــاة الأرواح)، ولــه عــدة روايــات منها (الأمــيرة جوليا)، كما ترجــم عدة روايــات منها (روميو وجولييت). (الأعلام الشرقية 3 / 1101، ومعجم البابطين 21 / 350 - 352).

(2) أمــين سليمــان حــدَّاد (1870 - 1912م)، المولــود بلبنان، وحفيــد الشيخ ناصيف اليازجــي لابنته، عمل في صحيفــة الأهــرام، أنشــأ صحيفة (لسان العــرب)، كما أسهــم في إنشاء عدة صحــف أخرى منها: (البصير)، و(الاتحــاد المصري)، و(الســلام)، و(الضياء)، و(أنيس الجليس)، تــوفي بالإسكندرية. (معجم المطبوعات ليوسف سركيس 2 / 743، ومعجم البابطين 4 / 592 - 594).

(3) محمود واصف (1266 - 1322هـ / 1849 - 1904 م): شاعرٌ وقصاص، ولد في مدينة الإسكندرية، وفيها تــوفي، عاش في مصر وتلقى تعليمه في الأزهر، ثم في مدرســة دار العلوم، أنشأ صحيفة (مصر الفتاة) سنة 1878، وأغلقت فأنشأ صحيفة (العدل) 1885، من آثاره: رواية (عجائب الأقدار) طبعت بالقاهرة سنة 1312هـ، ورواية (هارون الرشيد). (معجم المؤلفين 12 / 204، ومعجم البابطين 20 / 68 - 70).

ونفضت عن فكره الغبار، وله قصائد أجاد فيها، ولكنها لا تبلغ الغاية.

9 - شكيب أرسلان[1]: فحل الشعر، جزل الأسلوب، متين العبارة، ولكن الشعر معانٍ وخواطر، وهو كاتب يتكلَّف الشعر تكلُّفاً.

10 - محمد هلال إبراهيم[2]: رائق الشعر مجيد في بعضه إجادة بالغة، ولكن الحكم للأغلب.

ولا شكَّ أنه قد بقي قوم آخرون، بعضهم تعطَّلت قريحته، وبعضهم لم أقف له على شعر، أو نسيت ما وقفت له عليه، ومنهم كثير من السوريين، ويا ليت بعض أدباء سوريا يكتب لنا عمن هناك كما كتبنا عمن هنا، وإذا كان لهذه الطبقة آخر فهو (حفني ناصف) [3].

الطبقة الثالثة

1 - الكاشف[4]: هو صاحب هذه الطبقة، وإن كان خياله ضئيلاً، وسبكه

---

(1) شكيب أرسلان (1286 - 1366هـ / 1869 - 1946م)، المولود والمتوفى بلبنان، أديب وسياسي ومؤرخ، اشتهر بـ(أمير البيان)، أقام مدة بمصر، ونزل دمشق وبرلين، وأقام في سويسرا نحو 25 عاماً. وقد ربطته بأدباء مصر والعالم روابط وثيقة متينة. وله مؤلفات وآثار كثيرة. (الأعلام 3 / 173).

(2) محمد هلال إبراهيم: عمل مُحرِّراً صحفياً بعدة صحف ومجلات منها: (المقطم والمؤيد ومصباح الشرق والكشكول)، وشارك في تحرير جريدة (الكشاف)، أنشأ جريدة (النواب)، كان عضواً بمجلس النواب المصري عام 1930م (معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين 15 / 411 - 413. الكويت 2008م).

(3) حِفْني ناصف (1856 - 1919م): قاضٍ أديب، ولد بمصر وبها توفي. تعلَّم في الأزهر، واشترك في الثورة العَرابية، وتقلَّب في مناصب التعليم والقضاء، وتولَّى منصب النائب العمومي والقضاء الأهلي، وترأس الجامعة المصرية. شارك في إنشاء المجمع اللغوي الأول. اشترك مع الشيخ محمد عبده في تحرير (الوقائع المصرية)، شارك في تحرير / (المؤيد) وكان أحد خطباء الثورة العرابية. من مؤلفاته: (تاريخ الأدب)، و(مميزات لغات العرب)، وله ديوان منشور. (الأعلام 2 / 265).

(4) أحمد ذو الفقار الكاشف (1295 - 1367هـ / 1878 - 1948م): شاعر مصري، قوقازي الأصل. قال خليل مطران: (الكاشف ناصح ملوك، وفارس هيجاء، ومقرع أمم، ومرشد حيارى)، اتُّهم بالدعوة إلى إنشاء خلافة عربية يُشرف عرشها على النيل، وحُدِّدت إقامته في قريته (القرشية) بمحافظة الغربية: فكان لا يبرحها إلا مستتراً. (الأعلام 1 / 124).

مخيلاً، ولكنه خير ممن بعده على كل حال.

2 – المنفلوطي[1]: قصائد هذا الشاعر تشفُّ عن عين سارقة لا بارقة، وليس له معنى ينفرد به، ولا هو ممن تشفع لهم الكثرة.

3 – محرم[2]: سليقة عربية، ومعان عاميَّة، وسوء اتباع مع دعوى ابتداع، وقد يوجد له ما يحسن أن يُسمى شعراً.

4 – العبد[3]: إذا لم يصح ما يقال من أنه يجمع كلمات من يختلط بهم؛ فهو من شعراء هذه الطبقة، ولا أظنُّ أن في بني جلدته شاعراً غيره، وحسبه ذلك على طول السودان وعرضه.

5 – العزبي[4]: قرأت له ما تنشره (الثريا)، وهو شعر منسجم، ويظهر أنه يحاول الارتفاع عن أسلوبه؛ فإذا أفلح ارتقى.

---

(1) مصطفى لطفي المنفلوطي (1872 – 1924م): ولد بصعيد مصر، وتعلَّم بالأزهر، واتصل بالشيخ محمد عبده، وعمل بوزارة المعارف ووزارة الحقانية وأمانة سرِّ الجمعية التشريعية، وأخيراً في أمانة سرِّ المجلس النيابي حتى وفاته. من آثاره: (النظرات)، و(مختارات المنفلوطي)، و(كلمات المنفلوطي). (معجم المؤلفين 12 / 272).

(2) أحمد محرم (1294 – 1364هـ / 1877 – 1945م): شاعر مصري من أصل تركي، ولد في إبيا الحمراء من قرى الدلنجات بالبحيرة، تلقَّى مبادئ العلوم، وتثقَّف على يد أحد الأزهريين، وسكن دمنهور وتوفي بها. من آثاره: (ديوان محرم)، (ديوان مجد الإسلام) أو (الإلياذة الإسلامية في تاريخ الإسلام شعراً). (الأعلام 1 / 202، ومعجم المؤلفين 2 / 57).

(3) محمد إمَام العَبْد (1279 – 1330هـ / 1862 – 1911م): شاعر وزجَّال سوداني الأصل، ولد ونشأ ومات في مصر. قيل كان خطيباً مفوَّهاً، تجري النكتة في بيانه فلا يُمَلُّ سماعه، اتصل بالشيخ محمد عبده، وله فيه أشعار. عانى حياة الفقر وشظف العيش حتى توفي بالقاهرة (الأعلام 6 / 40، ومعجم المؤلفين 9 / 67).

(4) علي علي العزبي: (1301 – 1361هـ / 1883 – 1942م)، ولد في مدينة دمياط بمصر، وتوفي فيها، عمل في مجال التعليم الخاص، فأنشأ مدرسة (شمس الفتوح)، كما أنشأ جريدة (دمياط) الأسبوعية في 1936، وكان رئيساً لجمعية (التربية الحقّة) الأدبية بدمياط، كما كان عضواً في حزب مصطفى كامل (الحزب الوطني) (معجم البابطين 13 / 405 – 407).

6 – نسيم[1]: الكلام عنه طويل، ولم أتثبَّت من حقيقته إلى اليوم، وكان قد سرق قصيدة للطويراني برُمَّتِها ونشرها يهنِّئ بها جلالة ملك الإنكليز، وقبض عليه يومئذ حافظ إبراهيم، وهو قد نشر أخيراً قصيدة في عيد الجلوس الخديوي استحسنت له بعض أبياتها، ولكوني عرفت مبدأه لا أجزم بمنتهاه.

بقي أن أذكر شاعرين كبيرين من شعراء العراق وأنا لم أخالطهما، ولا رأيت لهما الشيء الكثير؛ ولكني سمعت عنهما من صديق لهما، والذي قرأت من شعرهما يدل على الصنعة البالغة والفكر المهذب، أولهما:

7 – السيد إبراهيم[2]: سمعت عنه أن له قدرة غريبة على الارتجال، وطريقة بديعة في الإنشاد، يُضحِكُ بها ويُبكِي، ومن قوله يذكر ولديه وكانا في سفر:

لم آلُ صبراً عنك يا (حسن) الظبا
وعن الأغن (محمد) الغريدِ

إن أتْلعَا فزعين قلت جويذران
تشوفا بتلاع رمل زرود

أبعدتما عني فصوَّح ناضري
عودا بجدكما ليُورِقَ عُودي

---

(1) أحمد نسيم عثمان (1878 – 1938م): شاعر مصري أُطلق عليه (شاعر الحزب الوطني) وارتبط بالحركة الوطنية، ولد بالقاهرة وتُوفي بها، عمل في دار الكتب المصرية بالقاهرة وأشرف على تصحيح الدواوين الشعرية القديمة التي تولت الدار نشرها آنذاك، صدر ديوان شعره سنة 1908م (الأعلام 1 / 264، ومعجم المؤلفين 2 / 194).

(2) إبراهيم بن حسين بن رضا الطباطبائي (1248 – 1319هـ / 1832 – 1901م): عالم دين وشاعر عراقي، كان مولده ووفاته بالنجف، تلقى تربيته الأولى على يد أبيه (بحر العلوم)، وبهذا اللقب (بحر العلوم) لقب تعرف به أسرته، وله ديوان شعر مطبوع عنوانه: (ديوان الطباطبائي) (معجم البابطين 1 / 169 – 171).

وأمـا وضـوء النيرين لأنتما
قمرا سعودي في الليالي السود

مـا أنتما إلا كقرطي غادة
يتذبذبان على خدود الخود

أو درتـا صـدف تعلقتا حلىً
في جيد عاطلة السوالف رود

أبنيَّ لا يجدي التعلل عنكما
بابن الغمام ولا ابنة العنقود

8 - والثاني محمد النجفي[1]: وله من موشّح في الخمر:

حربها حربي وسلمي سلمها
فأنا مغري بها مُستهتَر

من خدود الغيد يُجنى كرمُها
وبأحداق المها تُعتصرُ

فاذا ما فُضّ عنها ختمُها
في الدُجى بات الدجى يَسْتَعِرُ

سكب الماء بها فاشتعلا
وأبت شعلتها أن تنطفي

(1) محمد سعيد الحبوبي النجفي (1266 - 1334هـ / (1849 - 1915م): من علماء الشيعة، ولد بالنجف الأشرف بالعراق، ترك نظم الشعر قبل وفاته بنحو ثلاثة عقود، واتجه إلى العلوم الدينية، ربطته علاقة وثيقة بجمال الدين الأفغاني، كان له جهاده ضد المحتل البريطاني، له ديوان منشور. (الأعلام 6 / 142، معجم المؤلفين 10 / 39).

وهـــي في الحـالــين عـنــد الـنُّـبـلا

مُـــنْــيَـــةُ المـقــتـبِــسِ المــعــتـرِف

* * *

كـــنْ لـــدى جـلـوتِـهـا مُـنـتـبـهـاً

فـعـلـى تـكـيـيـفـهـا طَـــالَ الـلـجـاجْ

أهـــي بـالـكـأسِ أم الـكـأسِ بـهـا

إذ بـــدتْ صـــرفـاً فـأخـفـاهـا المِـــزاج

وهــمــا شـــيء بـــدا مـشـتـبـهـا

أم هــمـا شـيـئـان خـمــرٌ وزجـــاج

لا الـطِّـلا كـأسٌ، ولا الـكـأس طِـلا

عَـــزُبَ الـقَـصْـدُ عـلـى المـعـتـسـف

بـل لـهـا إن شـئـت فـاضـربْ مـثـلاً

وحـــدةَ الــوصــفِ مــع المـتـصـف

وفي العـراق شعـراء كثـيرون وكذلـك في سوريـا، ولكنني إنمـا كتبت عمَّن عرفتهـم أو سمعت بهم، ولا بد لي قبل إلقاء القلم من ذكر عجيبة، وهي أن (مجلة الهلال) اقترحت على قرائها منذ سنين أن يذكروا من أشعر شعراء مصر؛ فأخذ حضـرات الأدباء المتفنِّنين المجيدين الذين يفتخر بهم الشرق يكتبـون آراءهم، ويثبتون مذاهبهم، ولم أدهش ممـا كتبوا، ولكنني دهشت ممن نشر لهم تلـك الكتابة، فبعضهم قال إن أشعر شعراء مصر (عبدالله

فريـج)[1]، والآخر قال إنه (حفني بك ناصف)، وهكذا من مثل هذه الآراء، وأخـيراً جمعـت الأصوات وانفضـ (البرلمان)، وبقـي كل شاعر في بيته بين أهله وذويه، باسمه الذي سمي به.

وسـنرى ما يكون من امتعاض الشعراء بعد هذا المقـال، ولكنـي أطلب إليهم أن يخفِّضُـوا على أنفسهم، فـلا أنا من معيَّة الأمير، ولا من حاشية السفير، وليس ما كتبتُ إلا رأيي، فليبق كل في رأيه وعند نفسه أشعر الشعراء.

(مصر) [2]

---

(1) عبـد الله نـوح فريج (ت 1907م): أديب ومدرس قبطي، ولـد في مصر وتوفي بها، عمل مدرساً بطنطا ثم انتقـل إلـى القاهرة. له كتـب مطبوعة، منها: (أريج الأزهـار في محاسن الأشعار) و(أنـوار الأفكار في سمـاء الأشعار) و(الروض النضير في صناعة التشطير) و(سمير الجلَّاس في بديع الجناس) و(سمير الجليس في محاسن التخميس) (الأعلام 4 / 142).

(2) وقـد كتبـت المجلـة في تذييل المقال: «ألقـى إلينا مكتب بريد الزيتـون يوماً ملفاً ضخمـاً وارداً من مصر وداخله كتاب موجز ومعه المقالة المتقدمة للنشر، أما الكتاب فهذه صورته بعد الديباجة:

دونك مقالة بكراً لم ينسج على منوالها بَعْدُ في العربية، حَرِيَّةٌ بأن تُصدِّرَ بها مجلتك الغراء، ولا يروعنَّك شـدة لهجتها، فكلها حقائق ثابتة، وإن آلمت البعض فإن الحقَّ أكبرُ من الجميع، وإني لبالمرصاد لكل من ينبري للردِّ عليها، وأنا كفوءٌ للجميع، وما أخال أحداً يستطيع أن ينقض حرفاً مما كتبته، وإن هم لزموا الصمت فحسبك من سكوتهم إذْ ذاك إقراراً بأني أنزلت كل شاعر في المنزلة التي يستحقها، ولا يعنيك معرفة اسمي فأنا (ابن جلا وطلاع الثنايا)، فانظر إلى ما قيل، وليس لمن قال، وبعد هذا فإن أعجبتك مقالتي فانشرها، وإلا فاضرب بها عرض الحائط.

وإني أقـترح عليـك أن تنشـر جميع ما يردك من الـردود في المعنى سواء جاهر أصحابُهـا بأسمائهم أو تسـتَّروا فـإن الموضـوع طليٌّ شهـيٌّ وفي إطلاقك الحرية للكتَّـاب ما ينشط بهم لحريـة الجولان في هذا المضمار».

(أحد المشتركين) (مصر)

وقـد تصفَّحْنا المقالة فراعنا شـدَّةُ لهجة الكاتب وبتنا نقدِّم رجلاً ونؤخر أخرى في نشرها؛ إلى أن تغلب علينا الميل لنشرها إن لم يكن لشيء فلكثرة ما حوته من رائق الأشعار لفحول الشعراء وهم نخبة شعراء مصـر في هـذا العصر؛ فأقدَمْنَا على نشرها كما وردتنا بالحـرف الواحد غير متحملين تبعتها وللكتَّاب الأدباء الحرية في الردِّ عليها، وأبواب الثريَّا ترحب بكل ما يردها من هذا القبيل سواء من المشتركين أو غيرهم.

ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه

شعر البارودي[1]

كان الشعر إلى فجر القرن الخامس كأنما يتخطَّى روضةً فينانةً أخذ من جانبها إلى ما يقابله؛ فكان في مبتدئه ذلك الحائط الخشن مما هو كالسور والحياطة لما وراءه، وذلك عصر البداوة على تقلبات اللغة فيه، فإن غاية ما كان من أمر الشعر يومئذ أن يترقرق على الألسنة ألفاظاً عذبة وأكثره كشجر السرو له رواء وما له ثمر، وللعرب في ذلك عذرهم الذي لا يُدفع ما دامت تلك أرضهم، وذلك مقدار ما تناولوه من بساط العيش، وما تقلَّبوا فيه من أعطاف العمران.

غير أن السماء بما ينزل منها وما يعرج فيها وما تنير به؛ كانت لا تزال مرمى أبصارهم ومطرح أشعتها، فلم يعدموا جهة ينفذ منها النسيم إلى أفئدتهم فيختلج فيها خاطر رائع أو وصف بديع، وكذلك ما خلق الله بينهم من مهوى القلوب ومسرح الأبصار، وما أحسب شاعراً كان أشهر فيهم من فارس يصف حرباً، أو بليغ ينعت سرباً، أو متوجِّع يشكو قلباً.

وما زال الشعر يتخطَّى من تلك الروضة، وكل جيل منه يقف من الظل والماء والرياحين عندما لم يجد سلفه من صنوف ذلك، حتى خرج آخره من الجانب الثاني، وإذا هو بالطلول في المدائن، والدمن في الرياض، والبُرى تُقعقع بين الكؤوس والأباريق، والهجير يشوي الوجوه في ظل الورد والرياحين، إلى غيرها مما أحاله عن وضعه وخفضه بعد رفعه وجعله وخماً ثقيلاً لا

يُهدم ومن لا يظلم الناس يُظلمُ

(1) مجلة المقتطف، مج 30، العدد 3، 24 ذو الحجة 1322هـ / 1 مارس 1905م، ص 189 - 195. وفي رسائله لأبي رية بعض آرائه النقدية في شعر البارودي، راجع: ص 31، ص 37. وقد بدأت العلاقة بين الرافعي والبارودي قبل نهاية القرن التاسع عشر؛ ففي مسرحية (حسام الدين الأندلسي) التي أعدنا تقديمها للقارئ تقريظ شعري للبارودي لم نجده في ديوانه (راجع المسرحية، طبعة دار البشير، 2015م).

يُسـاغ ولا يهضم، ولكن تلك العصور لم تخلُ مـن الأنفاس العذبة، فإن أيام الصيف بما يُملُّ من طولها، ويُذيب الأدمغة من حَرِّها لا تبخل بنفحة يخفق بهـا منديل الأصيـل، أو يهتز لها ذيلُ السحر، ومن تلـك النسمات كان شعر البـارودي رحمه الله، على حين لم يكن في مصـر إلا النكباء والسموم، فقد كان صاحب الوقت بزعم أهله محمود أفندي صفوت، وهو قد أخذ لواءه من الدرويش، وانضوى إليه مثل الليثي والبخاري والإبياري وأبو النصر والنديم ومجدي ورفاعة وسواهم.

وإن قصـارى ما يكـون من أبرعهم شعـراً وأبدعهم صنعـة إذا نفض رأسه وزاد في حركـة قلبه وضـرب على جبهته بكلتا يديه أن يعطس ببيت فيه نكتة مـن البديع أكثر ما تكون من نحو حسـن الأخذ والتضمين والاقتباس إلى ما يُماثلهـا، وكان ابتـداء الشاعـر في تلك الأيام أن يأخذ عـن الطبقات الدنيا فينشـأ منها إذا كان موفقاً أو يكون أدنـى بحكم الطبع، ولكن البارودي كان من صفـاء الفطرة ونقاء الذهـن وكمال الاستعداد ونصيحـة أهل البصر؛ بحيث وجد السبيل فابتدر الغاية.

ومـن أعجب أمره ما تـراه فيما كتبه عنه الشيخ حسين المرصفي منذ ثلاثين سنـة، وهـو أستاذه، قال: «إنه لم يقـرأ كتاباً في فنٍّ من فنـون العربية، غير أنـه لمـا بلغ سن التعقل وجد مـن طبعه ميلاً إلى قـراءة الشعر وعمله؛ فكان يستمـع بعض من له دراية وهو يقرأ بعض الدواوين، أو يقرأ بحضرته حتى تصـوَّر في برهة يسيرة هيئـات التراكيب العربية، ومواقـع المرفوعات منها والمنصوبـات والمخفوضـات، حسبما تقتضيـه المعاني والتعلقـات المختلفة؛ فصـار يقرأ ولا يكاد يلحن، قـال: وسمعتُه مرة يُسكِّن يـاء المنقوص والفعل المعتـل بها المنصوبين؛ فقلت له في ذلك؛ فقال: هو كذا في قول فلان، وأنشد

شعـراً لبعضـ العرب؛ فقلـت: تلك ضرورة، وقـال علماء العربيـة إنها غير شاذة، ثم استقل بقراءة دواوين مشاهير الشعراء من العرب وغيرهم حتى حفـظ الكثير منها دون كلفـة، واستثبت جميـع معانيها ناقـداً شريفها من خسيسهـا، واقفاً على صوابها وخطئها، مدركاً مـا ينبغي وفق الكلام وما لا ينبغـي»، وهذا ليس بأعجب من أمر الشاعر ابن حمـدان المعروف بالخباز البلدي[1]؛ فقد كان أميـاً، وكان الشعراء يذهبون إليه في مخبزه يتلقون عنه ويُساجلونه، وشعرُهُ مع ذلك أطروفة نادرة، كقوله من أبيات:

أقلُّ ما بيَّ مِن حُبِّيك أن يدي

إذا دَنتْ مِن فؤادي كادَ يُنضِجُها[2]

وقوله:

يـــاذَا الــــذي أصـــبـحَ لا والـــدٌ

لـــهُ عـلـى الأرضِــــس ولا والـــدهْ

قـــدْ مــــاتَ مـــن قـبـلـهـمـا آدمٌ

فـــأي نـفـــس بـــعـــدَه خـــالـــدةْ؟!

إن جـئـتَ أرضـــاً أهـلُـهـا كـلُـهـم

عُـــورٌ فغـمّـض عـيـنـكَ الـــواحـــدةْ[3]

---

(1) عُـرف بلقـب الخبَّاز البلدي شاعران همـا: أبوبكر محمد بن أحمد بن حمـدان (ت 427هـ)، ويحيى بن محمد الخباز البلدي الحموي (ت 773هـ).

(2) ذكر الثعالبي أن البيت لابن حمدان 2 / 244، راجع: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق الدكتور مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1403هـ / 1983م. وفي معجم الأدباء أن البيت للسري بن أحمد بن السري المعروف بالسري الرفاء الموصلي 1 / 476.

(3) الشعـر لأبـي بكر محمد بن أحمد بن حمـدان المعروف بالخباز البلدي. راجـع: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر لأبي منصور الثعالبي، شرح وتحقيق مفيد قميحة، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، ١٩٨٣م.

وعلى ما رأيت من كلام المرصفي؛ جاء شعر المترجم مونق الرَّوِيّ، متلائم النسج، حسن المعرض، مطروح العبارة إلى حيث تشير القلوب، ولو أنَّ الله أعطاه مع ذلك خيالٍ حكيم كالمتنبي أو غيره؛ لكان أشعر من سمعتْ أذنٌ شعره، وأنا وإن كنتُ أُجلُّ الرجل لحسن صحبته، ولطف محادثته، وبشاشة محضره وأدبه؛ غير أني في كتابتي عنه لا أكون كذلك الأعرابي الذي بلغ من حبه أن يرى الشمس على حائط من يهوى أحسنَ منها على حيطان جيرانها.

وللسبب الذي قدمتُه؛ لم يكن شاعرنا كامل التصرُّف في فنون المعاني، وإن كان أشعر من جميع معاصريه بلا مراء، غير أنه أتمَّ ذلك النقص بما أتقن من جمال الصنعة وبديع الرواء، فلو أنك جرَّدت أكثر معانيه من ألفاظها، وما أحاطها به من الصياغة؛ لرأيت ما لا ينفرد به؛ بل ما ربما انفرد بغيره سواه، إليك مثلاً قوله في التذكر:

يا ذُكْرَةَ أبصرتُ في
مرآتها صورَ التَّمنِّي
علقتْ حِبَالةُ خاطري
فيها بمكْحُولٍ أَغَنّ[1]

ففي البيتين من حسن الصنعة وحذقها ما يأخذ بالقلب؛ ولكن النَّفَسَ قد هبط في البيت الثاني وانقطع في آخره، وسكن القلب فجأة؛ لأن الشعر في ذلك غير تام.

وبعضهم يرى مثل ذلك من أجمل الكلام أخذاً بقول الشيخ عبدالقاهر

ج٢، ص٢٨٤.

(1) انظر: ديوان البارودي، ص 695 – 696، حقَّقه وضبطه وشرحه علي الجارم ومحمد شفيق معروف. وفي مقال الرافعي في البيت الثاني)منها) بدلاً من (فيها).

الجرجاني في حد البلاغة إنها ليست في اللفظ ولا في المعنى؛ ولكنها في الأسلوب، ويفهمون من الأسلوب أنه مجرى الكلام وسياقه؛ ولكني لا أدري كيف هذا والأسلوب لا يسوقه غير المعنى؛ فالبلاغة في الحقيقة هي التصرف في المعاني المنصرفة إلى الأغراض، وذلك يتناول الألفاظ؛ لأن المعاني لا تقوم بغيرها، ويتناول الأسلوب؛ لأنه طريق تلك المعاني التي تنصرف فيها.

أما نمط البارودي في النظم فهو غاية ما دارت له الألسنة، عذوبة تكاد ترشف، وجزالة تلعب بالنفس، وسلامة يستريح في ظلها القلب، وتستنشق نسيمها الكبد، فهو الغدير أعذب ما يسكن، والمرآة أصفى ما تكون، ولشدة رغبته في ذلك النمط وانصرافه إليه؛ جعله المرجع في اختيار ما اختاره من شعر الشعراء في مجموعاته التي سمَّاها باسمه، فحيث انتهى إلى اللفظة الممتلئة رواء؛ أسرع فاقتطفها بقلمه.

كنت ذات عشية عنده؛ فرأيت إلى جانبه جزءاً من ديوان مهيار الديلمي؛ فتناولته وجعلت أقرأ قصيدةً كان قد علَّم ما اختاره منها، وجملة ذلك أبيات؛ فسألني أن أعرِّفه رأيي فيما اختاره منها؛ فلم أذكر له غير بيت واحد كان فخم المعنى، ولم تكن تلك القصيدة مما يُضيء فيه ذهن مهيار؛ فضحك -رحمه الله- وكذلك جرى في تلك المجموعات.

كان يُقدِّم أبا تمام على المتنبي؛ فسألني في ذلك مرة؛ فقلت إن الذي ذكره نقاد الكلام أن المعاني المخترعة لأبي تمام ثلاثة بعد أن عدها بعضهم ثلاثين، والمتنبي وإن كان قد افتضح في سرقاته؛ إلا أن له ما ليس لأبي تمام في بعض معانيه، على أن كليهما قد تعثر في ألفاظ كثيرة؛ فقال: ولكن شعر أبي تمام أجزل، وصنعته أوضح وأتم، ونسيتُ يومئذ أن أذكر له أن بعض الأعراب سمع قصيدة أبي تمام (طلل الجميع لقد عفوت حميداً)؛ فقال:

إن في هذه القصيدة أشياء أفهمها، وأشياء لا أفهمها؛ فإما أن يكون قائلها أشعر من جميع الناس، وإما أن يكون جميع الناس أشعر منه.

وأنا ذاكرٌ طرفاً من شعره ونتفاً من بدائعه -وهو قليل كما أخبرني رحمه الله- فقد ذكر لي من أشهر أنه لا يتجاوز ثلاثة آلاف بيت، قال من قصيدة يُعارض بها النواسي في قوله: (أجارة بيتينا أبوك غيور):

تلاهَيْتُ إلاَّ ما يُجِنُّ ضَميرُ
وَدَارَيْتُ إلاَّ مَا يَنِمُّ زَفِيرُ

فيا قاتلَ اللهُ الهوى، ما أشدَّهُ
عَلى المَرْءِ إذْ يَخْلُو بِهِ فَيُغِيرُ!

تَلينُ إليه النَّفسُ وَهِي أبيَّة
وَيجْزَعُ منْهُ القَلْب وَهْوَ صَبُورُ

لَطَالَ عَليَّ اللَّيْلُ حَتَى مَلِلْتُهُ
وعَهدى بِهِ -فيما عَلِمتُ- قصيرُ

ألا، فَرَعَا اللهُ الصِّبَى، مَا أَبَرَّهُ،
وحيَّا شَباباً مَرَّ وَهوَ نَضِيرُ

إذِ العَيْشُ أفْوَافٌ، تَرِفُّ ظِلالُهُ
عَلينا، وسَلسالُ الوَفاءِ نَميرُ

وَإذْ نَحْنُ فيما بَيْنَ إخْوَانِ لَذَّة
عَلى شيَمٍ مَا إنْ بِهِنَّ نَكِيرُ

تَدُورُ عَلَيْنَا الكَأْسُ بَيْنَ مَلاعِبٍ

بِهَا اللَّهْوُ خِدْنٌ، وَالشَّبَابُ سَمِيرُ

فَأَلْحَاظُنَا بَيْنَ النُّفُوسِ رَسَائِلٌ

وريحانُنا بينَ الكؤوسِ سَفِيرُ

عَقدنا جناحَي ليلِنا بنهارِنا

وطِرنا معَ اللذَّات حيثُ تَطيرُ

وقُلنا لِساقينا أدرها، فإنَّما

بَقاءُ الفتى بَعدَ الشَبابِ يَسيرُ

فَطافَ بِها شَمسيَّةً لَهبيَّةً

لَهَا عِنْدَ أَلْبَابِ الرِّجَالِ ثُؤورُ

إذا ما شَرِبناها أقمنا مَكاننا

وَظَلَّتْ بِنَا الأَرْضُ الْفَضَاءُ تَدُورُ[1]

وهذا البيت على ما تراه من الرونق والحسن، هو بيت القصيدة، وأنا أغتفر له ما فيه؛ فقد تقدم أنه نشأ على الحفظ، ومن كان ذلك مبدأه؛ فقلما يسلم من مثل هذا، فإن البيت لأعرابي كان سائحاً؛ فوقع إليه أن امرأته تزوجت؛ فقال من أبيات:

أتاني بظَهْرِ الغَيْبِ أن قد تَزَوَّجَت

وظلَّت بيَ الأرضُ الفضاءُ تدُورُ[2]

ويحسن بي توفية للفائدة أن أذكر هنا أبياتاً من قصيدة لابن دراج الأندلسي

---

(1) ديوان البارودي، ص 209.

(2) في الأغاني أنه لمزاحم بن عمرو بن مرة 19 / 109.

المشهور المعروف بالقسطلي، قالها في معارضة قصيدة النواسي المذكورة، ومنها يخاطب امرأته:

ألم تعلمي أن الثواء هو النوى
وأن بيوت العاجزين قبور

ذريني أرد ماء المفارز آجناً
إلى حيث ماءُ المكرمات نمير

فإن خطيرات المهالك ضمن
لراكبها أن الجزاء خطير

ولما تدانت للوداع وقد هفا
بصبري منها أنة وزفير

تناشدني عهد المودة والهوى
وفي المهد مبغوم النداء صغير

عيي بمرجوع الخطاب، ولفظه
بموضع أهواء النفوس خبير

تبوأ ممنوع القلوب، ومهدت
له أذرع محفوفة ونحور

عصيت شفيع النفس فيه وقادني
رواح لتدآب السرى وبكور

وطار جناح البين بي وهفت بها
جوانح من ذعر الفراق تطير[1]

(1) راجع: ديوان ابن دراج القسطلي، ص 298، حققه وعلق عليه وقدمه الدكتور محمود علي مكي، منشورات

فلا تجد أحسن من وصفه نطق الصغير في قوله (عيي إلخ) وقال البارودي على روي قصيدة الشريف (لغير العلا مني القلا والتجنب):

سِوَايَ بِتَحْنَانِ الأَغَارِيدِ يَطْرَبُ
وَغَيْرِي بِاللَّذَّاتِ يَلْهُو وَيُعْجَبُ
وَمَا أَنَا مِمَّنْ تَأْسِرُ الْخَمْرُ لُبَّه
وَيَمْلِكُ سَمْعَيْهِ الْيَرَاعُ الْمُثَقَّبُ
وَلَكِنْ أَخُو هَمٍّ إِذَا مَا تَرَجَّحَتْ
بِهِ سَوْرَةٌ نَحْوَ الْعُلَا رَاحَ يَدْأَبُ
بَعِيدُ مَنَاطِ الْهَمِّ فَالْغَرْبُ مَشْرِقٌ
إِذَا مَا رَمَى عَيْنَيْهِ والشَّرْقُ مَغْرِبُ
لَهُ غُدُواتٌ يَتْبَعُ الْوَحْشُ ظِلَّهَا
وَتَغْدُو عَلَى آثَارِهَا الطَّيْرُ تَنْعَبُ
خُلِقْتُ عَيُوفاً لا أَرَى لابْنِ حُرَّةٍ
عَلَيَّ يَداً أُغْضِي لَهَا حِينَ يَغْضَبُ
فَلَسْتُ لأَمْرٍ لَمْ يَكُنْ مُتَوَقِّعاً
وَلَسْتُ عَلَى شَيءٍ مَضَى أَتَعَتَّبُ
أَسِيرُ عَلَى نَهْجٍ يَرَى النَّاسُ غَيْرَهُ،
لِكُلِّ امْرِئٍ فِي مَا يُحَاوِلُ مَذْهَبُ

المكتب الإسلامي بدمشق، طبع على نفقة الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني، الطبعة الأولى 1381هـ / 1961م.

وَإنّي إذا ما الشَكُّ أَظْلَمَ لَيْلُهُ

وأَمْسَتْ بِه الأَحْلامُ حَيْرَى تَشَعَّبُ

صَدَعْتُ حِفافَيْ طُرَّتَيْهِ بِكَوكَبِ

مِنَ الرَّأْيِ لا يَخْفَى عَلَيْهِ الْمُغَيَّبُ

وَبَحْرٍ مِنَ الْهَيجَاءِ خُضْتُ عجاجه

وَلا عاصِمٌ إلّا الصَّفيحُ الْمُشَطَّبُ

تَظَلُّ بِهِ حُمْرُ المَنَايا وَسُودُها

حَواسِرَ في أَلوانِها تَتَقَلَّبُ

تَوَسَّطْتُهُ وَالْخَيْلُ بِالْخَيْلِ تَلْتَقي

وَبيضُ الظُّبَا في الْهَامِ تَبْدُو وَتَغْرُبُ

فَما زِلْتُ حتّى بَيَّنَ الْكَرُّ مَوْقِفي

لَدَى سَاعَةٍ فيها الْعُقُولُ تَغَيَّبُ

لَدُنْ غُدْوَةٍ حَتّى أَتَى الليلُ وَالْتَقَى

عَلَى ساطِعٍ مِنْ غيهبِ النَّقْعِ غَيْهَبُ[1]

ثم انتقل من هذا الوصف الرائع إلى وصف اللهو والقنص والتغلغل في الملذات، وعلى ذلك أكثر قصائده المطلقة.

وقال من الفخر كلمة أخرى في روي قصيدة أبي فراس (أراك عصي الدمع شيمتك الصبر):

(1) ديوان البارودي، ص 57 – 58، وفي الديوان (عُبابُهُ) بدلا من (عجاجه).

وإنِّــي امــرؤٌ لــولا الــعــوائــقُ أذعَــنــت
لــســلــطــانــه الــبــدو الْمُــغــيــرَةُ والحَــضَــرُ

مِــنَ الــنَّــفَــرِ الْــغُــرِّ الَّــذيــن سُــيُــوفُــهُــمْ
لَــهَــا في حَــوَاشــي كُــلِّ دَاجِــيَــةٍ فَــجْــرُ

إِذَا اسْــتَــلَّ مِــنْــهُــمْ سَــيِّــدٌ غَــرْبَ سَــيْــفه
تــفــزَّعــت الأفــلاكُ والــتــفَــتَ الــدَهــرُ

لَــهُــمْ عُــمُــدٌ مَــرْفُــوعــة وَمَــعَــاقِــلٌ
وألــويــةٌ حُــمــرٌ وأفــنــيَــةٌ خُــضْــرُ

وَنَــارٌ لَــهَــا في كُــلِّ شَــرْقٍ ومَــغْــرِبٍ
لِمُــدَّرِعِ الــظَّــلْــمَــاءِ أَلْــسِــنَــةٌ حُــمْــرُ

تَمُــدُّ يَــداً نَــحْــوَ الــسَّــمَــاءِ خَــضِــيــبَــة
تــصــافــحــهــا الــشِّــعــرَى ويــلــثِــمُــهــا الــغَــفــرُ

وَخَــيْــلٌ يَــعُــمُّ الْــخَــافِــقَــيْــنِ صَــهِــيــلُــهَــا
نــزائــعُ مــعــقــودٌ بــأعــرافــهــا الــنَّــصــرُ

مُــعَــوَّدة قَــطــعَ الــفــيــافي، كــأنَّــهــا
خُــداريَّــةٌ فــتــخــاءُ لــيــسَ لَــهــا وكــرُ

أقــامــوا زمــانــاً ثــمَّ بــدَّدَ شــمــلــهُــم
أخــو فــتــكــات بــالــكــرام اســمــه الــدهــر[1]

(1) المرجع السابق، ص 217.

ومن سحره الحلال هذه الأبيات يصف بها الحرب، قالها منذ ثلاث وثلاثين سنة:

إذا نحنُ سرنا صرَّحَ الشَّرُّ باسمه
وَصاحَ الْقنا بالْمَوْت واسْتَقْتَلَ الجندُ

فَأَنْتَ تَرَى بيْنَ الْفَريقَيْن كَبَّةً
يُحَدِّثُ فيها نَفْسَهُ الْبَطَلُ الْجَعْدُ

عَلَى الأَرْض منْها بالدِّماء جَداولٌ
وَفَوْقَ سَراة النَّجْم منْ نَقعهَا لبْدُ

إذَا اشْتَبَكُوا أَوْ راجَعُوا الزَّحْفَ خلتَهُمْ
بُحوراً تَوالَى بَيْنَها الْجَزْرُ والْمَدُّ

نشلُّهمُ شلَّ العطاش وَنَتْ بها
مُراغَمَةُ السُّقْيا وَماطَلَهَا الْورْدُ

فَهُمْ بَيْنَ مَقْتُولٍ طَريحٍ، وهَاربٍ
طليحٍ ومأسورٍ يجاذبهُ القدُّ

ونقعٍ كلجِّ البحر خضتُ غمارهُ
ولا مَعْقلٌ إلاَّ الْمَنَاصلُ والْجُرْدُ

صَبَرْتُ به والْمَوْتُ يَحْمَرُّ تَارَةً
وَيَنْغَلُّ طَوْراً في الْعَجَاج فَيَسْوَدُّ

فَمَا كُنْتُ إلاَّ اللَّيْثَ أَنْهَضَهُ الطَّوَى
ومَا كُنْتُ إلاَّ السَّيْفَ فَارَقَهُ الْغمْدُ

صَـؤولٌ ولِـلأَبْـطَالِ هَـمْسٌ مِـنَ الْـوَنَـى
ضـروبٌ وقلبُ الـقرنِ فـى صـدره يعدو
فـمـا مُـهْـجَـةٌ إلاَّ وَرُمْحِــي ضَـمـيرُهَـا
ولا لَـبَّـةٌ إلاَّ وسَـيْـفِـي لَـهَـا عِقْدُ[1]

وله من أبيات:

أصبحتُ لا أستطيعُ الـثوبَ أسحبهُ
وَقَـدْ أَكُـونُ وَضَـافٍ في الـدِرْعِ سِـرْبَـالي
ولاَ تــكــادُ يــدي شـبـا قـلـمـي
وكَــانَ طَــوْعَ بَـنَـانـي كُـلُّ عَـسَّـالِ
فَـلَـوْ تَـرَاني وَبُـرْدي بِـالـنَّـدَى لَـصقٌ
حـسـبـتـنـي فــرخَ طـيـرٍ بـينَ أدغــالِ
غَــالَ الــرَّدَى أَبَــوَيْــهِ فَـهْـوَ مُـنْـفـرد
في جَـوْفِ خـضـراءَ، لاَ رَاعٍ، وَلاَ وَالي
راجـعـتُ فـهـرسَ آثــاري فـمـا لمحتْ
بـصـيـرتـي فـيـهِ مـا يُــزْرِي بأعمالي[2]

ومنه قوله في الغزل:

هَــلْ مِــنْ فَـتَـى يَـنْـشُـدُ قَـلْـبـي معي
بَــيْنَ خُــدُورِ الْـعَــيْنِ بِــالأَجْــرَعِ؟

(1) نفسه، ص 141 – 142، وفيه (صبرت له) بدلا من (صبرت به).

(2) انظر الديوان، وقد وردت الأبيات على غير هذ الترتيب، انظر: ص 445 وما بعدها، وفي الديوان (لخلتني) بدلاً من (حسبتني)، و(جوف غَيْنَاءَ) بدلا من (جوف خضراء).

كَـــانَ مَـعِـي ثُـمَّ دَعَـــاهُ الْـهَـوَى
فَــمَــرَّ بِـــالْحَـــيِّ وَلم يَــرْجِـع
فَـهَـلْ إِذَا نَــادَيْـتُــهُ بِـاسْـمِـه
يُـفِـيـقُ مِــنْ سَـكْـرَتِـه أَوْ يَـعِـي؟
فَــأَنْـتِ يَـا عُـصْـفُـورَةَ الْمُـنْـحَـنَـى
بِـــاللّٰه غَـنِّـي طَـرَبـاً وَاسْـجَـعِـي
وَأَنْـــتِ يَـا نَـسْـمَـةَ وَادي الْـغَـضَـى
مُـــرِّي بِــرَيَّـــاك عَـلَـى مَـضْـجَـعِـي
وَأَنْـــــتِ يَـا عَـــيْنُ إِذَا لَمْ تَـفِـ
بِــذِمَّــةِ الــدَّمْــعِ فَــلا تَهْجَعِي[1]

ولست أخشى أن أقول إنه لم يكن واسع الحيلة في هذا النوع من الشعر إلا أبيات مبثوثة في تضاعيف أقواله، وله قصيدة يصف النجوم:

أَرْعَــى الْـكَـوَاكِـبَ فِي الـسَّـمَـاء كَـأَنَّ لي
عِـنْـدَ الـنـجـوم رَهِـيـنَـةً لَم تُـدفَـعِ
زُهْـــرٌ تَــأَلَّــقُ بِـالْـفَـضَـاء كَـأَنَّـهَـا
حَـبَـبٌ تَـــرَدَّدَ فـى غَـديـرٍ مُـتـرَعِ
وَكَــأَنَّـهَـا حَـــوْلَ الْمَـجَـرِّ حَـمَـائِـمٌ
بِـيـضٌ عَـكَـفْـنَ عَـلَـى جَـوَانِـبِ مَـشْـرَعِ

(1) ديوان البارودي، ص 321 – 322، وفيه (مَرْبَعي) بدلاً من (مضْجَعي).

وَالـلَّـيْـلُ مَـرْهُـوبُ الْحَـمِـيَّـةِ قَـائِـمٌ
فِـى مَـسـحـه كـالـراهـب المُـتـلَـفـعِ
حَـسِـبَ الـنُجـومَ تَـخـلَّـفـتْ عـن أمـره
فَـوحـى لَـهُـنَّ مِـنَ الـهِـلالِ بإصبعِ[1]

ولمـا سبقت إليـه بشارة العفو عنه في سيلان بقي بـين الشك واليقين؛ فذكر هذا التردد في بيت يُقال إنه أمير شعره وهو:

أُحِـــسُّ فِي قَـلْـبِـي دَبِـيـبَ المُـنَـى
وألمــحُ الـشُّـبـهـةَ فـى خـاطِـري[2]

والبيـت حيـث تراه مـن تصوير الوجدان ودقـة الوصف، وكنـت سألته مرة أن يوقفنـي على شيء من شعره الحديث فقـال: إن عنترة يقول: (هل غادر الشعـراء من متردم) وهذا عيب علينا (كلمته بحروفها رحمه الله) ولذلك شرعـت في نقض قصيدته ثم أنشـد أبياتاً مطلعها: كم غـادر الشعراء من متردم.

يقول في وصف مصر:

هِـيَ جنَّـة الْحُـسْـنِ الَّـتـي زَهَـرَاتُـهَـا
حـورُ المَـهَـا وهَــزَارُ أيـكَـتـهـا فَمِي[3]

وهذا ما اتسع المقام لاختياره من ذلك الدُّر النظيم، وامتد النَّفَس لذكره من أمـر ذلك الرجل العظيم، والله المسؤول أن يجزيه عن اللغة وأهلها بأحسن مما أحيا من فضلها.

---

(1) نفسه، ص 332 – 333.

(2) نفسه، ص 255، وفيه (أَسْمَعُ) بدلاً من (أُحس).

(3) نفسه، ص 586.

جواب على سؤال[1]

قـرأتُ سـؤال البستاني الـذي أورده عليك أيهـا الحاصد في نسبـة ما رواه الكريم الشيخ أحمد آل إبراهيم. وذلك قول القائل:

لقى نبلنا مرد العوارض فانثنوا

لأوجههم منها لحىً وشواربُ

خلقنا بأطراف القنا لظهورهم

عيوناً لها وقع السهام حواجبُ

أما الجواب، فالبيتان لعبد العزيز بن نباتة السعدي المتوفى سنة 405 للهجرة وهـو من شعراء سيـف الدولة، وعليه تخرَّج الشريـف الرضي شاعر قريش المشهور، وقد وقع في البيتين تقديم وتأخير لأنهما من قصيدة يأتي فيها سياق البيـت الأول بعد الثاني بأبيـات غير قليلة، وفوق ذلك فـإن رواية البستاني على غير وجهها: قال ابن نُباتة في مطلع القصيدة وهي من قلائده:

رضينا وما ترضي السيوفُ القواضبُ

نجاذبها عن هامكم وتجاذبُ

فإياكمُ أن تكشفوا عن رؤوسكم

ألا إنَّ مغناطيسهنَّ الذوائبُ[2]

---

(1) ( ) مجلة الزهور، السنة الثالثة، الجزء التاسع، يناير سنة 1913م، ص 493 – 494.

(2) راجع: يتيمة الدهر 2 / 454، ديوان ابـن نباتة السعدي (1 / 182)، دراسة وتحقيق عبد الأمير مهدي الطائي، بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٧٧م.

إلى أن يقول بعد أبيات:

خلقنا بأطراف القنا لظهورهم

عيوناً لها وقع السيوف حواجبُ

أُؤمِّل مأمولاً يُغيرُ صدورها

فواخجلتا إني إلى المجد تائبُ[1]

أبَوا أن يطيعوا السمهريَّة عزَّةً

فصُبَّت عليهم كاللجين القواضبُ

وعادت إلينا عسجداً من دمائهم

ألا هكذا فليكسب المجدَ كاسبُ[2]

ثم يقول منها:

بيوم العُظالى والسيوفُ صواعقٌ

تخرّ عليهم والقسيّ حواصب

لقوا نَبلها مُردَ العوارض وانثنوا

لأوجههم منها لحىً وشواربُ[3]

وبعد يا حاصد الزهور، فأَمَّا وقد ضمنت جائزة آل إبراهيم عن طريق الهند؛ فاعلم أن الضامنَ غارمٌ، والسلام.

---

(1) يتيمة الدهر 2 / 455.

(2) أمالي ابن الشجري 2 / 470، ضياء الدين أبو السعادات هبة الله بن علي بن حمزة، تحقيق الدكتور محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1413هـ / 1991م.

(3) نفسه، 2 / 471 – 472.

رأي في اللغة[1]

كأننا لا نزالُ نحتاجُ في استعمال كلِّ حرفٍ، ووضع كل كلمة إلى نصوص هؤلاء (أصحابُ الصِّحاح واللسانِ والقاموس)، وكأنّ هذه اللغة لا تجري على قواعد يمكن أن تنزل منزلة السنن الطبيعية في الحياة، بحيث لا تأبى في عصر من العصور أن يُضافَ إليها شيءٌ من المستحدثات الزمنية. وإلاَّ فكيف وضعها العرب إذن، وكيف تبسَّطوا فيها حتى بلغتْ بهم ما بلغتْ بهم من السَّعَة، وكيف جاء القرآن الكريم من ألفاظهم نفسها وأجراه فيما لم يستعملوه ولا لهم بهِ عهدٌ، وهو مُعجزة القوم؟! وكيف فصحت الألفاظ المولَّدة وأسماء المستحدثات العلمية حتى ألحقت بمادة اللغة؟!

إنَّ القول إن هذه فصيحة، وهذه مولَّدة قد مضى زمنه. فإنما كان الباعث عليه قرب عهد الرُّواة من فصحاء الأعراب في الصدر الأول، ثم تقليد علماء اللغة من المتأخرين لأولئك الرواة تحقيقاً بشروط هذا العلم الذي يحملونهُ وبآدابه التاريخية إذا كنَّا في كلّ نقول: نصَّ الجوهري وابن مكرم والمجد وفلان وفلان، ونغفل عما وراءَ ذلك مما تنصُّ عليهِ طبيعة اللغة من أوزانها وقواعدها وطُرُق الوضع والاستعمال فيها، فما نحنُ بأهل هذه اللغة ولا بالقائمين عليها، ولا هي لغة عصرنا، إنما هي لغة الجوهري وابن مكرم والمجد وفلان وفلان.

لستُ أتردّد في القول إن سبب الضعف الذي طرأ على هذا اللسان إنما هو في هذه العقول الضعيفة التي تقوم عليهِ أسوأ القيام، لا بالنظر ولكن بالتقليد

(1) مجلة الزهور، السنة الثالثة، الجزء العاشر، فبراير سنة 1913م، ص 577. وقد كتب المحرر مقرِّظاً للمقال: «قلنا كلمة في جزء سابق عن (حديث القمر)، وهو الكتاب الذي وضعه حضرة الكاتب المجيد مصطفى أفندي صادق الرافعي، وكان أن انتقد المؤلفَ أحدُ الكُتَّاب وآخذه ببعض ألفاظ قال إنها من استعمال العامة؛ فنشر الرافعي رداً على ذلك نقتطف منه ما يأتي».

الأعمى، فلا نزال نرجع بكل لفظة إلى حدود البادية، كأنَّ هذه البادية العربية هي جغرافية اللغة، وإنما يستقيم مثل هذا إذا كانت اللغة ميتة ليس فيها قوة النموّ كهذه العقول التي يغني عنها كلها كتابٌ واحدٌ كلسان العرب.

حرفة الأدب[1]

لا أريد من معنى هذه الحرفة ما يتجوَّز به المتكلمون من إملاق أهل الأدب وسوء أثر الزمان عليهم كسوء أثره على بعض الكتب القديمة، ولا ما يترسَّلون به من جفاء الأديب وإطراحه دون منزلته، وتقديره بما ليس من كفايته، وذهابهم إلى أن الأقدار ما برحت تتصرف بسعادته إلى غيره، وبشقاء غيره إليه، كأنه في لغة الأقدار بابٌ من الطرد والعكس، ولا ما يتمثلونه من قبح مكافأة كل أديب لنفسه، وجنايته عليها وابتغائه بها المراميَ في كل ما أجرى إليه من قصد، واستهدف له من غرض، كأنها غيرُ نفسه أو نفس غيره، فما إن يزال ينصب ويتهالك فيما يعاني من أمر الأدب لا يرفق بها ولا يستجمّ لها؛ حتى تسترخيَ جوانبها، وتتناثر بما فيها من قوة، فيحتف عليها كل بلاء، ويمكّن منها لكل قضاء، وهو يرى أن لا بأس على نفسه من شيء، ولو كان الموت ما دام قد استيقن أن لا بأس في لُبِّه.

لا أريد ذلك وما إليه مما عسى أن تبلغ به بلاغة القوم في تفضيل هذه الحرفة إذا هم جمعوا أطراف البيان، وأخذوا في مناحي القول؛ وإنما أشير إلى معنى الحرفة على الحقيقة، وأريد أن أصف شيئاً من أخلاق جماعة يحترفون من الأدب صناعة كسائر المهن؛ والصناعات التي بها قِوام العيش لهؤلاء المستأكلين والمتكسبين من السوقة والمرتزقة، لا على جهة ما تحتاج

(1) مجلة الزهور، السنة الثالثة، الجزء العاشر، العدد 31، 24 صفر 1331هـ / 1 فبراير 1913م، ص 537 - 543.

إليــه الحرفة من نفاق الســوق، وتحرّك الصناعة، وتوفير الغلَّة مما تزكو به الثروة ويستطيل النَّماء، وتتصل أسباب الفائدة.

ولكــن على جهــة الحاجة اللازمة في كل حرفــة إلــى الأدوات والآلات، وإلى التمرُّســ بالأسباب والوجوه، ثم إلى نزعة اللــؤم التي لابدّ منها في كثير من أهل الحرف والصناعات عندما يعرض من اهتضام الحقّ وبخس المماكسة؛ وعنــد تقليب النظر في أحوال الحرفاء وما أفــاء الله عليهم من خير وبسط لهــم مــن سعة؛ وعند اهتمــام القلب بكســاد إن وقع في الحرفــة، وفوت عن فــات مــن الربح، وضعــف إن أخذ في أطــراف العمل، وصــداع إن ضرب في رأســ المال؛ وعند نصب البــدن واستفراغ الدَّرع وترميــق الصبر؛ فهذا كله ومــا يكون من بابــه ويتصل بأسبابــه؛ رأيناه في كثير من أهــل الأدب الذين اتخــذوا من الأدب حرفة يُعرفــون بها دون أن تُعرف بهــم، وذهبوا يتَّجرُون في أخلاقهــم على الناس، ولعــل أحدهم أن يكون أسوأ من الحمق، وأذمّ من الحســد، وأقبح من الجهل؛ ثم لعلَّــه أن يكون مع ذلك أضعف مَن أنت واجدٌ ممــن يدَّعي الفهم، ويتنبَّل بالعلم ويتنفق بــالأدب، ولكنه يمضي ممدوداً له في غيّــه، وينطلــق منفّساً لــه في باطله، ولا يزال قد ملكــه السَّرَف، ونزت به الضــراوة، وبُعث منه التسلط، حتى يأخذ في كل فنّ من الحمق، ويضرب في كل ناحية من السخف، زرايةً على هذا ونفاسة على ذلك وتربُّصاً بغيرهما.

ثم هو في جماع ينزع إلى لؤم الحرفة، ويتسكع في كل وجهٍ من السفه منتحلاً مــا شاء أن يتنحــل من الأسماء يصنع منها المعاذيــر، ويستر بها على نفسه فضيحــة مــن الأخلاق كان الــرأي أن يتوقَّاهــا قبل أن تظهــر، لا أن يحاول سترهــا وقد ظهرت؛ فربما زعم أنه منتقد أو متصفح، أو هو يصلح عيباً أو يبغــي مرمَّة، ولابــدَّ في هذا ومثل هذا بزعمه من سَــوْرَةِ حمقٍ ونزوة غضب،

ومـن كلمة كزَجْرة المؤدب، وأخرى كغمزة المثقف، ونحوها مما يكون انتقاماً ويُسمى في مذهبهم انتقاداً ولعناً، ويُسمى في اصطلاحهم طعناً.

وربما كان الرجل من الحماقة وفساد الأخلاق؛ بحيث يرى سوء الأدب أدباً، والجنف عن الحق الواضح قصداً، والتنطع فيما يجهل عِلماً، وبحيث لا يرى لـه حجة ظاهرة على أحد، إلاّ في العنـاد وركوب الهوى والمخاطرة بالنصفة والمعدلـة؛ فمن ثـمَّ لا يُرى عليه لأحد حجة ظاهرة، ولا يرى أن أحداً يقوم له في الحجاج، أو يثبت معهُ في الخصام، أو يرجح بالحق عليه وعلى باطله وهو ما هو؟! غبي فَدْمٌ إلى الجفاء والغلظة وإلى السخف والفسولة.

وتراه على ذلك يجمع إلى ضعف الرأي قوة العجب، وإلى قلة الصواب كثرة التخطئـة، وإلى بطء الفهم سرعة الحكم، ويرى كأن الله لم يخلق لأحد من الناس عقلاً إلاَّ على قياس من رأسه.

فـإن أنت جئتَه بما يعلو عن فهمه، ويخرج عن طاقته؛ بادرَ فقطعَ فيه برأيه، وجـزم عليـهِ بالركاكة والإحالـة والإفساد وسـوء التعبير! ولِمَـهْ؟! لأنه هو لا يفهمه؛ فلا يوجد من يفهمه ألبتة إذ كان ما زاد عن قياس رأسه لم يكن إلى العقل؛ بل إلى الجنون.

وإن هـو أراد أن يبـتَّ الـرأي في كلام من الكلام، ويتعسـف في الجزم عليهِ بأنــهُ محال لا يستقيم، مفسد لا يصح، مضطـرب لا يتماسك، زعم لك بلا حيـاء أنهُ لا يفهم، وعليك أن تكـون ذكيّاً بالوراثة، منطقيّاً بالفطرة؛ لتنتهي مـن هـذه المقدمة المسلمة إلـى النتيجـة الطبيعية؛ فتقطع بأن مـا لا يفهمهُ هـو لا يُفهم بتـةً إذْ لا يوجد من يستبطن حقيقته في الجيـل كله ما دام علم الهستولوجيـا (الأنسجة) لا يُقيم عليـهِ البرهان بأنَّ رأسه غير ذلك الرأس الذي نصبهُ الله في أرضهِ مقياساً للعقول!

وبعد فإن مِنْ لؤم هذه الحرفة أن ترى صاحبها ساقط الحرمة زمر المروءة، زريَّ النفس بذيئاً متعهراً فحَّاشاً في هجائه، أستغفرُ لله؛ بل في انتقاده! يضع لسانه حيث شاءَ من عِرْض أو خُلُق أو صيغة، لا يبالي في كل ذلك أن يكون صدق وبرَّ، أو كذب وفجرَ؛ بل همهُ أن يكون قد أوجع وأمضَّ، وطبَّق المفصل الذي يحزُّ فيه لا ينكر من ذلك على نفسه نكيراً ولا يغير منهُ تغييراً.

ولا بِدْعَ فإني رأيت أن أحداً من الناس لا يخلو من الفضيلة إلاَّ كان فيه ما يعتَدُّه في رأي نفسه فضيلة، وأن فضيلة اللئيم التي يراها أن لا يخذله لؤمه دون الاستطالة والتمكن؛ فلو كذب وعقَّ وكفر النعمة، وغمط الحق، وجاءَ بكل مخزية ومُندية، ثم كان له أن يستطيل ويغلب، لقام ذلك عنده مقام الصدق والمبرة والشكر والإقرار والإحسان؛ لكان عند نفسه أفضل أهل الفضائل جميعاً؛ فهو لذلك لا يتورَّع عن قول بذيء، ولا يتنزه عن فعل دنيء، ولا يأبى أن يكون أسخف الناس عند الناس إذا كان من نفسه ما عرفت.

والغرور -نعوذ بالله منه- فهو ألأم اللؤم في محترفي الأدب خاصة، فقلَّما يُؤتى أحدهم إلاَّ من جهته، ولا يعرض له الشيطان إلاّ من قِبَله؛ وإنه لجنون هؤلاء العقلاء إذا كان لكل امرئ شعبة من الجنون، فلو رأيت ذلك المغرور، وَرِم أنفه، أن يكون أحدٌ أولى منه بالحق، أو أحق بالصوت؛ فلجّ في العناد، وجنح إلى الباطل، وأصرّ واستكبر استكباراً!

ولو رأيته قد زيَّن له الغرور، وسوّلت له نفسه الخبيثة أن يهتف بأحد هتفةً مشؤومةً، أو يقوم فيه مقاماً مشهوداً؛ فجعل يفتري الكذب، ويصنع الباطل، وينقض الحق، ويُحيل الصدق، حتى يصف لك أفضل خلق الله؛ فلا تراه في ألفاظه إلاّ غثاً بارداً سمجاً، وأكرم خلق الله فلا تعرفه إلاَّ كزّاً لئيماً متوقحاً، وأعلم خلق الله فلا تصيبه إلاّ جاهلاً غبياً فَدْماً، وأفصح خلق الله فلا تجده

إلاّ عييّاً بكيئاً حصِراً؛ وهذا لا يزال يجترئ على الله، ويمثل بخلقه هذا التمثيل، ويمسخ منهم هذا المسخ حتى لكأن الله إله المخلوقين وهذا المغرور إله الأخلاق، وكأن لله جلَّ شأنه قوة الخلق، ولهذا الأحمق في معارضتها قوة الاختلاق.

ولو قيل لي إن في أديب من الأدباء مائة فضيلة وفيه الغرور، لما صدّقت أن تكون فيه مع هذه الرذيلة فضيلة؛ فإن الغرور لا يكون إلاّ من سوء تقدير المرء لنفسه وتقدير نفسه للناس، وهما خصلتان لا غاية لهما إلاّ تجاوز غاية المدح وغاية الذم؛ وما أسرف امرؤ في مدح إلاّ كاذباً ولا أفرط في ذمّ إلاَّ كاذباً ومتى كانت مع الكذب فضيلة؟!

ولولا هذا الغرور ما استنكف المخطئ أن يفيء إلى الصواب، والضال أن يثوب إلى الحق، والجاهل أن ينزل إلى حيث يتعلم، والناقص أن يخرج إلى طلب الكمال من غيره، وهذا كله تراه على أهونه وأقله في عوامّ الناس وطغامهم وحثالهم، من لا يثبتون على الباطل إلاَّ بمقدار ما يفهمون الحق؛ ولكنه على أعظمه وأتمه في هؤلاء الذين يحترفون الأدب؛ لأنهم أهل زلاقة ولَسَن وصنعة من الكلام، وإنما قلوبهم عند النضال في حصون من وراء أفواههم، فلا تزال تصرع دون قلوبهم كل حجة، أو ترد على أعقابها مهزومة أو كالمهزومة، وهيهات أن تصل إليها مطلقة، أو تنزل فيها إن نزلت إلاَّ مُوثّقة.

وصفة المغرور أن يكون لسانه فوق عقله، وتكون نفسه تحت لسانه، فكيف تراه يكون لو تمت له مع هذه الصفة قوة اللسان، وسرعة البديهة، وشدّة العارضة، واستجابة المعاني وهي أخصّ أدوات حرفة الأدب؟!

على أني -يعلم الله- ما رأيت كالمغرور من هؤلاء الأدباء، يذم لك الغرور،

وينتفـي منه، ويعتده السيئـة المجترحة التي لا تكفّر عنهـا الحسنة بالغةً ما بلغـت، ثم لا تجـده إلا أشدّ الناس كلفاً بأن يكون كل مـا يؤثَر عن المغرورين مسنـدٌ إليـه، متظاهراً عنـه وأن تفشوَ له بذلك فاشيـة في الألسنة، وتذهب عنه القالة في المجالس؛ ليكون مرهوب الجانب، متقى اللسان، مخشيَّ المعرَّة مستعـاذاً بالله منه، وليُعرف أنه لا يضـع جانبه لخصم، ولا يغتمز فيه عدوّ غميـزة، وليس أحد معه أبـداً إلا على خطأ، وليس هو مـع أحد أبداً إلا على الصـواب؛ وأنه على ذلك سريع البادرة، قبيح الإزراء، موجع القذع، حاصد اللســان؛ وأن من حمل نفسه عليه؛ فقـد حملها على التهلكة، وأخطرها لما لا يملـك له دفعاً دفعاً، وطلب بها ما إنَّ المعجـزة كلها في أيسره؛ وأن من أخلد إليه، وشدَّ به يده، والتمس مناصرته؛ فذلك الذي يضرع كل عدو إلى أمانه، ويخرُّ كل قلم ساجداً يطلب المغفرة من لسانه.

إلى صفات أخرى من أمثال هذه، لا يكون الغرور بدونها غروراً، ولا تكون هي في أحد إلا بخذلان من الله.

فما أشأم حرفة الأدب على أهلها وعلى الناس من أهلها!!

على أنه ما من خير إلا وفيه جهة قريبة من الشر تجعله كله شراً إن أُريد، ولا مـن شر إلا وفيه جهة من الخير تحيله كله خيراً؛ فالأمور بأسبابها، والآداب بأخـلاق أربابها، وقلما نبغ أديـب إلا كان إنساناً فوق الإنسان، وإذا اعتبرتَ أخلاقه؛ لا تراه إلاَّ أقرب إلى الملَك أو أقرب إلى الشيطان.

في مستقبل اللغة العربية[1]

إن الجواب على هذه المسائل لا يُلقى في كلمات ولا يُبْتَنى إلا على بحث طويل، غير أنَّا نرمي بنتيجة البحث، ونُعين الجهة التي استقر عندها النظر، وكل جملة مما سنذكره فهي محل تفصيل، ولا يغيبن عن القارئ أن بعض هذه المسائل مركبٌ على قضايا من الغيب، وفي علم الله ما استاثر الله بعلمه، وما إلينا نشأة التاريخ فيكون علينا أن نُصيب في الحكم عليه.

1 - نقول في مستقبل العربية إن الماضي كان مستقبلاً قبل أن يسير ماضياً، فالعوامل الطبيعية التي أثَّرت في بنائه، هي نفسها التي تُعين على استكناه ما بعده، مما لا يزال مستقبلاً إن نفذ الرأي إلى ما بعده، والتاريخ في الحقيقة كأنه ينبت من القبور حيث دفنت القرائح والأفكار والأصول الإنسانية التي يرث منها الخلق.

---

(1) في العدد الزوجي لمجلة الهلال، السنة الثامنة والعشرون، العدد الأول والثاني، محرم وصفر 1328هـ / أكتوبر ونوفمبر 1919م، ص 72، بدأت مجلة الهلال استفتاءً بين رموز الأدب والثقافة في العالم العربي، منهم: خليل مطران، ومحمد كرد علي وغيرهما حول مستقبل اللغة العربية، وقد وُجِّهت إليهم عدة أسئلة للإجابة عليها، وهي:

1 - ما هو مستقبل اللغة العربية في نظركم؟

2 - وما عسى أن يكون تأثير التمدين الأوربي والروح الغربية فيها؟

3 - وما يكون تأثير التطور السياسي الحاضر في الأقطار العربية؟

4 - هل يعم انتشارها في المدارس العربية وغير العالمية وتعلم بها جميع العلوم؟

5 - وهل تتغلب على اللهجات العامية المختلفة وتوحدها؟

6 - وما هي خير الوسائل لإحيائها؟

وقد نُشر ردُّ الرافعي إلى جوار ردِّ عيسى إسكندر المعلوف - صاحب مجلة الآثار - في مجلة الهلال، السنة الثامنة والعشرون، العدد 5، 11 جمادى الأولى 1327هـ / أول فبراير 1920م، ص 398 وما بعدها.

وفي العام 1923م أصدرت دار الهلال كتاباً تضمن هذه المقالات والردود وأسمته (فتاوى كبار الكتاب والأدباء)، وقد أعادت مجلة الدوحة القطرية نشره ملحقاً مع العدد 74، ديسمبر 2013م، وقدَّم له الأستاذ سعيد بنكراد.

وهذه اللغة العربية تمتاز على اللغات كافة بارتباطها إلى الأصلين العظيمين الخالديــن القرآن والحديث، وهمــا على وجه واحد أول الدهر وآخر الدهر، وإليهمــا مناط العقائـد في العالم الإسلامــي كله؛ فقد جعلا هــذه اللغة ولا سبيــل للغــة عليها من حيث هي، كما أنه لا سبيــل لدين على دينها من حيث هــو، وهذا مما يُهوِّن الخَطْب فيهــا إنْ ضعفت أو عَـدَت عليها بعض عوادي الاجتمــاع؛ فإن قوة الحياة المستكنَّة في أصولها لا تلبث أن تشد منها وتذهب بأمراضها عند أيسر العلاج.

وليس يخفى أن الكيان الإنساني قائم على القوى الأدبية، وأصل هذه القوى في العالم الإسلامي هو القرآن، وهو كذلك أصبح من وجوه كثيرة كأنه أصل اللغــة، فمــا دام كل انقلاب اجتماعي فينا لا يأتي على هــذا الأصل؛ فهو لن يأتــي علــى تلك اللغة، وإذا كان الحي لا يُبنى إلا مــن داخله؛ فهو لا يُهدم إلا من داخله.

فالمسألة إذن مــن مسائل الضعف والقوة؛ لا من مسائل موت اللغة وحياتها، وههنــا أصلان عظيمــان يستند إليهمــا الباحث في مستقبــل العربية وقلَّما يلتفت إليهما أحد:

فــالأول: أن ســواد الذين يتكلمون بهــذه اللغة هم من أبعــد الشعوب إعراقاً في تاريــخ المدنية وذهاباً في عصورها، وتغلغلاً في طبقات الميراث الإنساني، وذلك أصل عظيم في الاحتفاظ بها بعد أن صارت قطعة من تاريخهم وكأنها عناية إلهية بهذه اللغة أن لا تستفيض إلا في تلك الشعوب.

والثاني: أن في العربية نفسها نوعاً من الاستهواء بما فيها من جمال التركيب وروعــة اللفظ وحسن الأداء إلــى غيرها من المميزات المعروفة، حتى إنَّ غير أهلها ليكونون في حبهم إياها أحق بها وأهلها.

وظاهرٌ أن لكل لغة قوية وجهاً سياسياً، كما أن لكل سياسة قوية وجهاً لغوياً، فالشعـوب قائمة على الاختلاف والتنـازع؛ وهنا موضع الضعف والقوة، فإن نهضـ أهل العربيـة وكُتبت لهم السلامـة من تحكُّم المستعمريـن، وجنَّبهم الله هذه المحـن التي هي فضائل السياسة؛ فتلك نهضة العربية نفسها، وإن ضعفـوا فذلك ضعفها، ومـا أراها إلا ستنهض في مصـر وسوريا نهضة من يستجمع.

وربما شهد الناس دهراً يصلح أن يُسمَّى فيه ما بين العراق إلى الأطلانطيق (جمهورية اللغة العربية) وما هو ببعيد، والله غالب على أمره.

2 – وتأثـير التمدين الأوربي والروح الغربية في هذه اللغة؛ فلن يكون إلا على السابقـة التي سلفت من تأثير علوم الفرس واليونان وغيرهم، ولا ضرر منه علـى اللغة فهي قويـة متينة تحمل ذلك وتستلحقه، وتأتينـا به مستعرباً وإن نبت في لندن وباريس وبرلين وغيرها كما جاءت بمثله من قبل، وما دام فينا حفـاظٌ ونزعةٌ صحيحةٌ؛ فلا نخشى على لغتنا ضـرورة من الضرورات؛ لأن في كل تاريـخ حي ممراً لمثل هذه الضرورة تبدأ فيه من جهة، وتنتهي منه في جهة، وما من شعب هو كل الناس.

3 – وأمـا تأثير التطور السياسي الحاضـر؛ فما أرى أسباب الحكم عليه قد استجمعـت بعد والأقدار لا تزال في المداولة، ومـن قال: لا أدري؛ فقد أفتى، والله يحكم لا معقب لحكمه!!

4 – ولسـت أرى مـا يمنع انتشار اللغة، وأنْ تُعَلَّم بهـا جميع العلوم؛ فإن هذا شـرط في إحيائها وإحيائنـا، ومتى بدأت مصر بذلك –وهـي بادئة إن شاء الله– فلا تحسبنّ هنداً لها الحسن وحدها؛ بل كل غانية هند.

5 - بيد أن العربية لا يأتي لها بحال من الأحوال أن تغلب على كل اللهجات العامية وتستغرقها وتأخذها بدين التوحيد؛ فما ذلك في طبيعتها، ولا هو في طبيعة الناس؛ ولكنها تفصح من هذه اللهجات؛ وهذا حسبنا!

6 - وأما خير الوسائل في إحيائها فهي عندي:

إنشاء المجمع العلمي العربي في مصر على أن يكون كمجامع أوربا، وعلى أن يعمل عملها ويأخذ بسنتها، فأما فئة كهذه التي أطلقوا عليها اسم المجمع اللغوي وجرت باسم الله مرساها؛ فإنما هي كتب في دار الكتب.

إصلاح تعليم العربية وآدابها، ونبذ هذه الدفاتر الغثة التي يدرسون فيها، والرجوع إلى طريقة الرواة المتقدمين (الطريقة الإنسكلوبيذية)[1] مما يجمع الفن والأدب واللغة والبلاغة، ويطبع الناشئ على الملَكة الصحيحة، ويستحدث له ذوقاً في لغته، ويُقيم الكتب نفسها مقام العرب والرواة الذين كانوا هم أصل دولة البلاغة.

تعليم العلوم كلها -إلا علوم اللغات وآدابها- بالعربية، وتعريب ما ليس فيها من ذلك ونشره، ونشر الكتب العربية القيمة.

أن تعمل الأمة على إنبات كتابها وشعرائها وأدبائها وتفريغهم للعمل الذي يُسروا له، وطرق ذلك معروفة.

عناية الصحف الكبرى بلغتها وكتابتها وأساليبها، فهي اليوم في الأفق اللغوي كالهواء صحة أو وباء، وأن تحفل بالأدب وتبذل فيه، ولا نخصّ السياسة دونه بشيء؛ فهو سياسة ألسنتنا وقوميتنا وتاريخنا.

---

(1) يرمي إلى الكلمة الإنجليزية (encyclopedia) أي الموسوعة أو دائرة المعارف، وهي المتعارف عليها في تراثنا بطريقة الجمهرات.

إيجـاب حفظ القـرآن أو أكثره في المدارس، ولو علـى المسلمين وحدهم، مع درس الوجوه التي تؤدي بها تأدية صحيحة، وهـذا وحده أساسٌ متينٌ إن لم نُحكـم البناء عليه؛ فما أقـرب أن يتداعى البناء كله وهنـاً وتراخياً، والأمر يومئذ لله!



صورة من عدد مجلة الهلال الذي نُشر فيه الاستفتاء

إعجاز القرآن.. نقد ظهرت أذنه(1)

قرأتُ هذا الفصل الذي كتبه الأستاذ العقاد، وكنتُ والله أعرف معانيه؛ فلم تزدني ألفاظه إلا ما رأيتُ في بعض تمحّله مما يشبه أن يكون خلة في هذا الكاتب الفاضل خُلقت له وخُلق لها، وكثيراً ما تكون الأسماء والألقاب أوصافاً من لسان الغيب للآتين إلى هذه الدنيا من الغيب، فإني لا أرى هذا الفصل إلا بعض عُقَدٍ من (عَقَّادها).

في البلاغ اليومي الذي جاءني الساعة (صبيحة الجمعة) حديثٌ لكاتب تركي مع طاغور الشاعر الهندي، جاء منه في وصف الانقلاب الذي أحدثه مصطفى كمال ومسخ به الترك هذه العبارة: «ولقد أحسن النازي في تغيير القيم العتيقة، والقضاء على التقاليد الموروثة البالية، والسير بالشعب التركي في طريقه الجديد، ولا شك في أن أمم الشرق تُبدي إعجابها الشديد بالمقدرة التي امتاز بها النازي الذي وقف على رأس جماعة كبيرة فياضة بالخبرة والكفاية، واكتسح القديم، وأقام الجديد على أنقاضه». انتهى.

وقبل ذلك بيوم كتب الأستاذ العقاد في (البلاغ) مقالاً عن طاغور هذا سما به إلى عليين وعليات أيضاً، جاءت فيه هذه العبارة : «وسمعنا من الرجل فلسفته؛ فإذا هي فلسفة البساطة العميقة والعمق البسيط (كذا)، وإذا هي حكمة من أراد أن يقيسها بمقياس المناطقة والباحثين (تأمَّل) كان على حد قوله (كذا) كمن يأتي إلى الحديقة يمحك الجواهر ليقوم به ثمن الجمال في الأزهار والرونق في الرياحين». انتهى.

---

(1) البلاغ الأسبوعي 10 ديسمبر 1926، ص 16 و17، وهو رد على المقال الذي كتبه الأستاذ العقاد بتاريخ 3 ديسمبر 1926م تحت عنوان (إعجاز القرآن: كلمة في المعجزة، وكلمة أخرى في الكتاب)، وقد أعاد نشره في كتابه (ساعات بين الكتب). (راجع ص 19، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2014). وانظر ما كتبه العقاد بعد ذلك بسنوات في مجلة الرسالة، العدد 361، بتاريخ: 3 يونيو 1940 تحت عنوان (الخصومة الأدبية في الشرق).

فنقول للأستاذ إنك رددت على نفسك بهذه العبارة قبل أن نرد عليك في قولك: «إن بحثاً يوضع في تقرير بلاغة القرآن والرد على منكري إعجازه لأَوْلى المباحث أن يتصدى له عالم قوي العارضة حاضر البرهان خبير بأساليب القياس» فماذا تصنع أساليب القياس وبراهين المنطق ومقياس المناطقة والباحثين، ومحك الجواهر عند فن الإعجاز الإلهي في أزهار القرآن ورياحينه، أفلم يكن في التاريخ العربي الإسلامي مناطِقةٌ وأهل قياس وبرهان وعارضة؛ فأين عملهم وماذا أغنوا وأية سلكوا؟![1] وهل أفحموا الزنادقة وقطعوا المتكلمين منهم، أم عندك من العلم ما ليس في التاريخ وما لا يعلم إلا الله والعقاد؟!

على أننا ما سقنا كلمتي العقاد والتركي إلا لنثبت حقيقة لا سبيل إلى المراء فيها، ولا ينفع منها رأيٌ ولا لجاجة، وهي أن بعض العقول تكون مستقيمةً على طريقها لسبب ما؛ فإذا تغير السبب، أو داخَلَه سببٌ غيره، أو اعترته حالة غير حالته الأولى؛ رجعت تلك العقول بعينها منعكسة، فإما مدبرة عن طريقها الأول أو منحرفة فيه، ولا يعظمها أن تكون عقول فلاسفة أو حكماء؛ فإنها إنسانية، ومن ورائها النفس، ومن وراء النفس دواعيها، ومن ثم انفتح للناس باب مدح الشيء وذمه، فما مدحته لمعنىً تذمّه لمعنىً غيره، ويخلص لك الدليل على هذا وعلى هذا.

وفيم كان ضلال من ضلَّ، ومكابرة من كابر، ونفاق من ينافق، وخطأ من يخطئ إلا بغلبة شيء في النفس على شيء في الحقيقة، وإتيان أثر سيئ من تلك على أثر حسن من هذه؟!

وبم تفسد الفضيلة، وتذهب الصالحة، وتجد الصديق يرتد عدوّاً لصديقه،

(1) في الأصل: أية سلكوا.

ويقـع الكذب، وتكون الخيانـة؛ إلا بعروض سبب على سبـب، أو طروء حالة علـى أخرى، كالعين السليمة التي لا بأس بها من زيغ أو اضطراب تضع لها الزجاجـة الملونة، فإذا الفضاء والأشياء مـن لون الزجاجة لا من ألوانها في حقائلهـا، والعين لم تتغـير، والأشياء لم تختلف؛ ولكـن بينهما ما أفسدهما جميعاً؟!

فطاغـور الذي يطوف أوربـا في جبته الهندية وقلنسوتـه الهندية، ولا يظهر أبـداً إلا في أخلاق هندية قديمة، وفي روحانية هندية متزمّتة، والذي وصفه الأستـاذ العقـاد في البلاغ تلـك الأوصـاف السحرية الخياليـة التي جعلتنا نقـول فيـه من سُكْره إنه لم يسمـع الشاعر في قاعة المحاضـرة؛ بل في حانة المحاضرة.

طاغور هذا في حكمته وسموه هو بعينه طاغور الذي تنفس من هواء الأستانة مـا أوحى إليه الثناء على لبس القبعة ولا يلبسها، وعلى الرقص ولا يرقص، وعلى شـرب الخمر ولا يحتسيها، وعلى القمار ولا يُساهم فيه، وعلى إشاعة الفجور ولا يقربه، وعلى المروق من الدين وهو أشد الرجال الحُمْسِ في دينه الوثنـي، ثم هو يدعو إلى الوحدة الروحية في العالم ولا يتنقص في الترك إلا الدين الذي أساسه أن تعمَّ هذه الوحدة في العالم كله، وأن يكون التعاون بين الأمـم على اختلافها في الموضع والقوة والمادة، كالتعاون بين أعضاء الجسم الواحد على تباينها، أو التساند بين أحجار البناء الواحد على تفرقها.

قلـتُ إني كنت أعرف معاني نقد الأستاذ العقاد قبـل أن أقرأها؛ بل قبل أن يكتبها، ولقد كنتُ أتقي نقده هذا لو لم أهده الكتاب، ولكني مع ذلك أهديتُه ليكتـب ما كتب، ولأقرأ ما قرأت، وما أحـوج كتابي بعد كلمة الرئيس الجليل إلى عيب؛ فاجهد جهدك يا مزعزع الجبل.

لا شأن لنا فيما أورده الأستاذ من الكلام عن المعجزة؛ فإنه لا يتصل بغرضنا ولا هو متصل بنقده، ولكنا نتناول ما عدا ذلك، فقد زعم أن الكتاب إن هو إلا في الثناء على القرآن والتسبيح بآياته، وإني لم أنهج ذلك النهج الذي أحسن فيه الجرجاني أيَّما إحسان، وإني لا أكاد أُلمُّ بشاهدٍ واحدٍ من آيةٍ قرآنية، أو أصلٍ مُقرَّرٍ واحدٍ من أصول البلاغة، وهذا التعسفُ العجيب هو مما أخذ فيه بعض حديثي معه دون بعضه؛ فإني قلت له إن لهذا الكتاب تكملة أسأل الله أن يعينني عليها ويوفقني لها؛ فإني أريد أن أكتب (أسرار الإعجاز) أستخرج فيه من آيات القرآن آيةً آيةً وبلاغةً بلاغةً[1]، وقلتُ له إني أشرتُ إلى ذلك في تعليقي على مقدمة الكتاب، كما نبهتُ إليه في الكتاب نفسه؛ لأني الآن أضع القواعد وأضبط الأصول، ثم للبسط والأمثلة بعد ذلك موضع؛ فأغفل صاحبنا كل هذا وجاء يأخذ مني الذي يرد به عليَّ، أما الذي هو ردٌّ عليه فيطوى دونه.

وقد نقل كلمة طويلة من الكتاب في «نبرات الحروف ونغماتها الموسيقية، وموضع كل حرف بجانب ما تقدمه وما يليه، قال: كأن بلاغة القرآن معلقة على هذا المعنى تثبت بثبوته وتدحض باندحاضه»، ثم قال بعقب الكلمة التي نقلها «هذا نموذج من شواهد الرافعي بنصه نرى أنه علق فيه بلاغة القرآن على شيء هيهات أن يكون مقصوداً أو سارياً في كل آية على النحو الذي يحكيه، وإلا فما يقول الرافعي في هذه الآية التالية من سورة هود (قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ)[2] قال: فإن كانت بلاغة الكتاب الكريم مرتهنة

(1) راجع مقالنا (صفحات مجهولة من حياة الرافعي) بمجلة الوعي الإسلامي الكويتية، عدد ذي الحجة 1436هـ / أكتوبر 2015م.

(2) هود: 48.

بذلك النسق الذي تصوره الأديب، فهل يناقض البلاغة في رأيه توالي الميمات الكثيرة، والنون والتنوين في هذه الكلمات المتعاقبة، أو يظن الرافعي هذه الآية بدعاً من بين آيات الكتاب؟!». انتهى.

أتريد أن تعرف ما أقول يا سيدنا ومولانا، أقول: إني كنت أرفعك عن أن تكون بوقاً من الأبواق ليس فيه إلا تقعير الصوت أما الصوت فلغيره، ولقد غشَّك الذي ألقى إليك هذا الكلام وأقامك من مكره السيِّئ بهذا الموقف انتقاماً لأستاذه الشيخ طه حسين بعد أن خنس هو وأمثاله وفروا فرار الحُمُر بحوافرها من الليث بأظافره.

إنها يا سيدي الفاضل لم تكن (ميمات) فقط؛ بل كان معها (شينات وباءات) ونشر كل ذلك في المقطم من أشهر بعيدة بإمضاء (ناقد) وجعل سؤالاً مرفوعاً لي إذْ كنتُ سميت بعض تكرار طه حسين لحرف الشين في عبارة من عباراته (شأشأة طه حسين) فجاء هذا الذي غرَّك ومكر بك يسألني: أتكرار الميم في هذه الآية (مأمأة) من القرآن؟ وتكرار الشين في قوله تعالى ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ﴾[1] الآية.. شأشأة؟ وتكرار الباء في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾[2] الآية.. بأبأة؟ فأجبته في المقطم عن هذه وتلك بما يثبت إعجاز التكرار في كلتا الآيتين، وتركتُ الأولى عمداً لأُظهِرَ الناسَ على خبثه ولؤمه وجبنه، فما أسرع ما وقع بجهله وحمقه وظن ذلك عجزاً مني عن حكمة الآية؛ فكتب في المقطم (يتحداني) أن أُبين له أسرار هذه الميمات وبلاغتها، وأبان في كتابته عن غرور ودعوى؛ فرددتُ عليه أني أقبل هذا

---

(1) آل عمران / 26.

(2) البقرة / 282.

التحدي على شرط أن يُصرّح باسمه؛ ففر ورضى لنفسه هذا الخزي مع أنه بالموضع الذي تعرفه.

وأنا الآن لا أجيبك عن حكمة هذه الميمات وأنها هي عين البلاغة في موضعها إلا إذا كشفتَ للناس عن اسم هذا الخبيث، وأقررتَ أنه هو مُلَقِّنك، فإنك لا تحفظ القرآن إلا شيئاً من آخره يحفظه تلامذة المدارس كما قلت في حديثك معي...[1] (يونس) كيف بلغت إلى (هود).

بقي من هذا النقد الذي ظهرت الآن أذناه أن الأستاذ العقاد يقول: ولكن الرافعي يتصدى لهذا البحث وهو من أضعف الناس منطقاً، وأفشلهم (كذا) قياساً، وأعجزهم عن تأييد الدعوى بالحجة، وتفنيد القول بمثله، خذ مثلاً رده على ابن الراوندي حيث يقول: إن المسلمين احتجوا لنبوة نبيهم بالقرآن الذي تحدَّى به النبي فلم تقدر العرب على معارضته؛ فيقال لهم أخبرونا لو ادَّعى مُدَّعٍ لمن تقدم من الفلاسفة مثل دعواكم في القرآن، فقال الدليل على صدق بطلّيموس أو إقليدس، إن إقليدس ادَّعى أن الخلق يعجزون عن أن يأتوا بمثل كتابه أكانت نبوته تثبت؟!

قال الأستاذ العقاد: وكلام ابن الراوندي هذا ظاهر المغالطة؛ لأن إقليدس لم يخترع الحقائق التي أوردها في كتابه، وليس في طاقته هو نفسه أن يبتدع كتاباً آخر أو يزيد قضية واحدة على تلك القضايا، فالعجز هنا يشمله كما يشمل الآخرين، والدعوى لا تعلم فضلاً له غير فضل الابتداء والإشارة إلى الحقائق الموجودة قبله، والتي لا بد له هو في إيجادها بأي معنى من معاني الإيجاد، قال: ولكن الرافعي يغضب على ابن الراوندي فينحي عليه بالثلب والتبكيت ويقول فيه: لعمري إن مثل هذه الأقيسة التي يحسبها ابن الراوندي

(1) مطموس في الأصل بمقدار كلمتين أو ثلاث.

سبيــلاً من الحجة وبابــاً من البرهان؛ لهــي في حقيقة العلــم كأشد هذيان عرفــه الطب قط.. وإلا فأين كتاب من كتــاب؟! وأين وضع من وضع؟! وأين قوم من قوم؟! وأين رجل من رجل؟!

ولو أن الإعجاز كان في ورق القرآن وفيما يخط عليه لكان كل كتاب في الأرض ككل كتــاب في الأرض ولاطَّرد ذلك القياس كله على ما وصفــه كما يطَّرد القياس عينــه في قولنا: إن كل حمــار يتنفس وابن الراونــدي يتنفس؛ فابن الراونــدي يكون ماذا؟!، قال: ذلك هو ردُّ الرافعي على ابن الراوندي، وليس فيه كما رأيت تفنيدٌ لحجة الرجل إلخ.

فلننظــر في تفنيد الأستاذ العقاد لهــذه الحجة لنرى أذهب بها، لا؛ بل لنرى أَفهِمَ كلام ابن الراوندي وردَّنا عليه، فإن لكل كلام مساقاً إذا خطأه القارئ ولم يتحرَّه في الفهم لم يتبين وجه الكلام، ومتى لم يتبين هذا الوجه لم تنفعه الألفــاظ ولا التركيب، والنــاس يقعون في هذه الغفلة من سهو مرة ومن عمد مــرة، فإن كان إقليدس لم يخترع الحقائــق التي في كتابه، فالنبي صلى الله عليــه وسلم لم يخترع الكلام الــذي في القــرآن، وإن كان إقليدس يعجز أن يبتــدع كتاباً آخــر فكذلك النبي يعجز أن يأتي بقــرآن آخر، وإن كان ذلك لا يستطيع أن يزيد قضية واحدة على تلك القضايا فالنبي لا يستطيع أن يزيد حرفاً واحداً على ذلك الكلام، فهذا كهذا، وكلاهما لا بد له في الإيجاد بأي معنــى من معاني الإيجاد، فأيــن المغالطة التي يدَّعيهــا العقاد في كلام ابن الراوندي؟!

...[1] هــذا الملحــد الخبيث ابن الراونــدي أن إقليدس جــاء بكتاب مفرد في نوعــه سلمه لــه الناس وصــار مرجعاً لهــم في ذلك البــاب، واجتمعت عليه

---

(1) مطموس في الأصل بمقدار كلمتين.

الكلمة كرأي علماء العرب فيه، فيريد أن يقيس القرآن عليه وهو في هذا القياس يتعمد أن يخدع قارئ كتابه فيوقعه في توهم أن القرآن من عمل النبي وتأليفه؛ فهذا كتاب رجل وذاك كتاب مثله. فإن استقام له هذا خرج منه أنه إذا كان إقليدس قد جاء بكتابه الذي سلمه له الناس ولم يدَّع النبوة، فادِّعاء رجل للنبوة مثله يُعدُّ ماذا؟!

وظاهرٌ أنه لو كان في عقيدة ابن الراوندي أن القرآن وحيٌ لسقط الخلاف ولم يبق لكلامه معنى، وظاهر أيضاً أن الأستاذ العقاد انخدع لابن الراوندي، وجرى على ما تُوهمه العبارة، وقاس على ذلك القياس؛ فكانت المغالطة عنده أن إقليدس لم يخترع كأنه يعني أن النبي هو الذي اخترع.

ولو أنه أراد أن يكشف عن المغالطة لوجدها في قول ابن الراوندي: «لو ادعى مُدَّعٍ لمن تقدم من الفلاسفة..إلخ فإن ادعاء المتأخر للمتقدم كذب على التاريخ»، فيُقال: اثبت لنا أن أرسطو وإقليدس ادعيا، ثم ننظر بعد ذلك في إسقاط دعوى أرسطو أو إقليدس.

فتالله إني رأيتك اليوم «أضعف الناس منطقاً، وأفشلهم قياساً، وأعجزهم عن تأييد الدعوة بالحجة وتفنيد القول بمثله».

الكتب التي أفادتني(1)

(1) في أيام التحصيل كنتُ أقرأ كلَّ ما أصابته يدي، وكنتُ أُكثر الملاحظة وأُدقِّق فيها؛ فلا أعرف كتاباً أنا منه أكثر مما أنا من غيره، ولكن إن يكن؛ فلعلَّه كتابٌ في الحديث اسمه (الجامع الصغير)، كنت أَحضرُ به درس أبي -رحمه الله- ثمّ قرأتُه من بعد للسيّد جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده، ثمّ كتاب (سرّ النجاح) الذي ترجمه شيخنا الدكتور صرّوف، ثمّ كتب غوستاف لوبون ثمّ الكتب كلّها.

(2) إذا أردنا حقيقة التثقيف والتقويم؛ فكتب الأديان والآداب كافية في رأيي، أما إذا أردنا ذلك المعنى الوهميّ الذي لا يزال ينشأ ولا يكبر؛ فلا بدّ من الالتجاء أبد الدّهر إلى الكتب الغربية على أن نُضيف إليها كتاباً عربياً واحداً اسمه (قانون العقوبات)، العقل حيث يكون في حاجة إلى آثار العقل حيث يكون، فلم تُغنِ أوروبا عن روحٍ من الشرق، ولا يُغنى الشرق عن فكر من أوربا.

(3) كتب الآداب الدينية قبل سواها، فإذا استوفى الشاب منها قانون ضميره؛ فهو من بعد أبصر بحاجته، وليكن عربيّاً شرقيّاً، ثمّ ليقرأ ماشاءَ؛ فالمرض يجعل كلّ غذاء مرضاً، والصحة تجعل كلّ غذاء صحة.

(4) تهذيب المكتبة العربية تهذيباً فلسفيّاً، وبيان أسرار حضارة الشرق في

(1) نشر ضمن استفتاءات مجلة الهلال، العدد الثالث، أول مارس 1927، وقد وجَّه المحرر عدة أسئلة هي:
- ما هو الكتاب أو الكتب التي طالعتموها في شبابكم فأفادتكم وكان لها أثر في حياتكم؟
- وهل يكفي المطبوع الآن من الكتب العربية لتثقيف الناشئة أو لا غنى عن الالتجاء إلى الكتب الغربية؟
- وما هي الكتب التي تنصحون لشبّان اليوم بقراءتها غربية كانت أم غير غربية؟
- وما هو نوع التأليف الذي يفتقر إليه العالم العربي على الخصوص — والذي تودون أن يطرقه المؤلفون؟
وفي هذا العدد نُشرت ردود أخرى للأستاذ منصور جرداق والأستاذ إبراهيم عبدالقادر المازني.

أديانه وفنونه وآدابه، ونقل أسمى ما في الأدب الأوربيّ، ولو أحياني الله حتّى أرى لقومي مجمعة[1] عربية كبرى تبلغ في السَّعَة والوضع وحسن الترتيب وشدّة التبين وقوّة الاستيعاب ما بلغته المجمعة الفرنسية؛ لكنت سعيداً حقّ سعيد، فإن لم نكن أهل هذا العمل الجليل؛ فلنحرص على أن نساعد أهله بوضع ما يُعدّ من مواده وأجزائه.

(1) وضعناها هنا ترجمة لكلمة (الانسكلوبيديا) (الرافعي).

كتاب ابن الرومي.. نقد وتحقيق[1]

وضع الأديب عباس محمود العقاد كتابه هذا في الكشف عن حياة ابن الرومي واستخراجها من شعره، وفي الكلام على أدبه ونهجه، وفي بيان منزلته ومحله، ثم خصائصه ومزاياه وغفلاته وسقطاته، فكتب في كل ذلك ثلاثمائة وثلاثين صفحة، دخلها كثير من شعر ابن الرومي: يستدل به، أو يستنبط منه، أو يخرج عليه، ثم ختم كتابه بستين صفحة اختارها من ديوان الشاعر وقال: «إنها تتم المعرفة بشاعريته من جميع نواحيها».

وقد وقع إليَّ هذا الكتاب فقرأته، فما شككت أن المؤلف قد كان يتوجه ويقارب الغاية لو أنه عكس الوضع في كتابه، فاختار من شعر ابن الرومي ثلاثمائة وثلاثين صفحة وكتب عنه الباقي، إذ ليس الاعتبار في مثل هذا البحث بالورق والحشد فيه، ولا بالجري على عادة الاستعمال في الكتابة الصحافية، التي بلغت أن تجري في أصابع كتابها مجرى الكلام في ألسنتهم؛ بل هو التاريخ لا يجوز أن يخلق ابتداعاً، ولا أن يحدث على غير ما حدث، فلا تتمحل له الفروض ولا تلتمس فيه غير حقائقه، وليس للكاتب فيه إلا الحادثة على نصها، ثم إقامة الحجة على وجهها، ثم شرح العلة على مقدارها، ثم ما بين ذلك من استخراج الأسباب التي تتوافى بها الحوادث وتجتمع وتتركب،

(1) مجلة المعرفة السنة الأولى، الجزء التاسع، شعبان 1350هـ / 11 ديسمبر 1931م، ص 1079 – 1084. وقد صدَّر المحرر المقال بقوله: «السيد مصطفى صادق الرافعي، في المقدمة من رجال الأدب القديم، وهو بحق حامل لوائه والذائد عن حياضه. وإذا كان قد بدأ كتابته في (المعرفة) بنقد كتاب الأستاذ العقاد، فليس ذلك عن غرض كما قد يتوهم البعض، أو عن تآمرٍ –بين الأستاذ الرافعي والمحرر– كما يتوهم آخرون، ولكنه نقد بريء، قصد به إلى إظهار الحق بعيداً عن الغرض. وبحسبنا أن نصارح قراءنا بأن ثمة خلافاً... كان بيننا وبين الأستاذ الرافعي، من ستة أشهر تقريباً ولكنه زال ولله الحمد، على أثر تشريفه لنا بزيارته، وتفضله بهذا النقد الطريف. ويسر (المعرفة) أن تصارح الأستاذ العقاد، بأنها على استعداد تام لنشر ملاحظاته، إن كانت له ملاحظات على هذا النقد».

ثم ما حول ذلك مما لا بد أن تسترسل فيه نفس الكاتب من فن الملاحظة أو ملاحظة الفن ليثبت أن التاريخ قد اتصل منه بالحياة مرة أخرى.

ولو أن متعصباً على ابن الرومي منحرفاً عنه قد أفرط في تهجينه واستهلكه بالنقد، ونعى كل سيئاته، ونقض كل حسناته، لما كان بعمله ذاك إلا في الجانب الآخر من صنيع العقاد الذي غلا في ابن الرومي أشد الغلو، وتعسف له المعاني، وجاوز به التقدير، وأخذه حقيقة، وأبرزه خرافة، فهو في هذه الناحية في حكم التاريخ كذلك المتعصب، كلاهما لا يكتب على مذهبه إلا وقد وضع عن نفسه أنه ليس في الناس من يعتبر عليه بنقد أو يتعقبه بتصحيح، وكلاهما لا يمضي إلا على ما صور له الغرض ولا يقصد إلا قصد التسويغ لما في نفسه، وكلاهما بتاريخه وراء الحدود التاريخية.

يقول الأديب عبد الرحمن صدقي في ما كتب في المقتطف عن العقاد وكتابه: «إن كلَّ لفظ في عبارته له قيمة الأرقام الحسابية الدالة على العدد، وإنها لمعجزة أن تكون هذه الدقة الحسابية مفرغة في قالب من جمال الفن السامي»، ونقول نحن: إن الذي تقع له هذه المعجزة فيما يكتبه حريٌّ ألا يخطئ فيما ينقله، وإن من لا يوثق بصحة تمييزه لما يقرأ، خليق أن يكون بعيداً عن معجزات البيان؛ بل عن البيان نفسه.

لقد صحَّح العقاد غلطات كتابه واستدركها في آخره، وأحصى منها ما لا خطر له كتصحيح نفخ الريح بنفح الريح، والفرد بالفرد، فما وقع في نقله مما لم يصحِّحه؛ فإنما هو غلط في الفهم وإنما هو شيء لا يجري في (الدقة الحسابية) ولا يدل عليها بل على نقيضها، فانظر أين الدقة في هذا البيت الذي ورد في صفحة 21:

كـم رضــيــعٍ هــنــاك قــد فَـطَـمُـوه

بشـفـا الـسـيـف قـبـل حـيـنِ الفِطام[1]

وإنمـا هــي (بشبا السيف)، وفي صفحة 29 نقلاً عـن معجم الأدباء (يلائم الخمار ويفيق الشهوة) وصوابها (ويفتق الشهوة)، وفي هذه الصفحة عينها (لأمـر مـا قد قمـت) وإنما هي قدمـت، وفي صفحة 40 عن معجـم الأدباء (وأمـرت بنقله إلى آخر نـار الله وسعيره)، والصـواب (إلى حر نار الله)، وفي صفحة 67 في خادم اسمه إقبال نقلاً عن كتاب العمدة (ومنكوس اسمه لا بقا) وهي معكوس اسمه، وقد يظن القارئ أن هذه غلطات مطبعية ولكنه يصيبهـا كذلـك في الكتب التي نقل عنهـا العقاد، فهي غلطـات لم تقع منه ولكن وقع هو فيها، ومنها في صفحة 72 نقلاً عن أمالي المرتضى «فدخل يوماً (الوزيـر) عبيدالله إلى أبي الحسن (ابنه القاسـم الذي سمَّ ابن الرومي) وابـن الرومي عنده، فاستنشده من شعره، فأنشده وخاطبه؛ فرآه مضطرب العقل جاهلاً»، وكرر هذا النقل في صفحة 256 وهو كذلك في الأمالي، قلنا: فإذا كان ابن الرومي جاهلاً ولا يراه كذلك إلا الوزير الكاتب البليغ عبيدالله بـن سليمان، ففيم كتاب العقاد..؟ إنما صواب العبارة فرآه مضطرب العقل ذاهـلاً وقد وصفوا ابن الرومي بأنـه كان إذا فاجأه الناظر رأى منه منظراً يـدل على تغير حال، وذلك هو الذهول، وفي صفحة 112 يصف ابن الرومي زيغ بصره:

وبـــورك طـرفٍ فـالـشِّـخَـاصُ حـيـالُـهُ

قـرائـن مـن أدنــى مـدى وَهْــيَ فُرَّدُ[2]

---

(1) ديوان ابن الرومي، تحقيق الدكتور حسين نصار، 6 / 2378.

(2) نفس المرجع 2 / 586، وفي مقال الرافعي: (فالشخوص(.

يريد أنه يرى الشيء اثنين، وكرر العقاد نقل هذا البيت في صفحة 130 وفسر هذه البركة، واستدل بها على أن ابن الرومي يتهكم حتى بنفسه، مع أن القصيدة التي منها البيت تحسر وتوجع، ولا نحسب معتوهاً فضلاً عن رجل كابن الرومي يعد مثل هذه العلة بركة في نظره، وإنما هي (وشورك طرفي) أي كأن في عينه ناظرين للشخص الواحد، وهذا هو المعنى الشعري الدقيق لا ذلك المعنى الفاسد الذي يقول فيه العقاد: إنه (يحمد الله على زيغان بصره)، ونعوذ بالله من هذا الذوق الفاسد.

وفي صفحة 118 يقول العقاد وهو يصف ابن الرومي بما استدل عليه من شعره.. إنه كان يعاف المشمش لأنه دواء لا غذاء.

إذا ما رأيتَ الدهرَ بستانَ مشمشٍ

فأيقنْ بحقٍ أنَّهُ لطَبيبِ[1]

وقد أيقنا بحق أن العقاد لم يفهم المعنى، فكيف يعاف الشاعر السقيم المعتل فاكهة تكون دواءً للجسم؟ أما الذي يريده ابن الرومي فهو أن المشمش داء (لا دواء) إذ هو ينتهي بمن يأكله إلى الطبيب، وهو معنى أخذه مما كان يقول به الأطباء من أن هذه الفاكهة تجلب الحمى، فهكذا يستدل مؤلفنا بشعر ابن الرومي على حياته وصفاته.

ومثل هذا كثير في الكتاب أحصيناه كله واجتزأنا بهذا القدر منه تفادياً من الإطالة، وهو حسبك في الدلالة على تمييز العقاد وفهمه وبصره بالكلام.

* * *

ونعرض الآن لموضوع الكتاب، فهو كما قلنا يجري على عادة الاستعمال في

(1) ديوان ابن الرومي 1 / 314.

الكتابة الصحافية، حتى ما من ورقة فيه إلا وأنت تستطيع أن تنقض منها على المؤلف أو ترد عليه؛ إذ كل ما في الكتاب استرسال، وإغراق وترخص، كأنه يأخذ الكلام عسفاً وجرفاً، حتى خرج بابن الرومي عن مقداره ومقدار عصره كأن الرجل كان في زمنه غفلاً غير معروف، فلا يفهمه أحد ولا يتعاطى شأوه إنسان، وكأن شعره الذي وضعه من ألف سنة بقى ألف سنة لا يجد من يفصح عما كان في نفس واضعه، ثم ما الذي كان في نفس واضعه يومئذ وأخفاه ابن الرومي عن قومه وعصره وعن نفسه أيضاً؟

كانت هناك أصول ومعانٍ لا تكشف إلا بعبارات مترجمة من كتب الأدب الأوربي في هذا العصر «كعبادة الحياة، ومنح الطبيعة الحياة من عنده أو من عند الخرافات، والإصغاء إلى سر الحياة الكامنة في الأرض، والعلم أن أنسه بالطبيعة مستمد مما يفيضه هو عليها من دلائل الحياة، والخلع من شبابه عليها والخلع من شبابها عليه والمزج بينهما مزجاً لا تخاله يكون إلا في مهجة واحدة، وإعطاء الحياة وإعطاء الشخوص، ولهنوات (كذا) النفوس عنده شخوص يخاطبها وتخاطبه، وعالم الطفولة الخالدة لم تزدها السنون إلا إمعاناً في الطفولة، وإغراقاً في اللعب، وشوقاً إلى الحلوى، ورهبة من العصا».

نظن أنه لا ينفع العقاد أن تقره الدنيا كلها على تعقيد حياة ابن الرومي هذا التعقيد، إذا كان لا ينكره عليه إلا ابن الرومي نفسه وأهل عصره، على أن كل كاتب يستطيع أن يتناول أسخف الشعر وأرذله وأبرده من أي عصر شاء، ثم يحمل عليه كلَّ ما جاء في كتاب العقاد عن ابن الرومي من مثل هذه العبارات، ويوطِّئ له منها ويشرحه بها من نحو:

قال محمد: هو ابن مالك

أحمد ربي الله خير مالك

فانظر كيف بـرَّ الناظم أباه؟ وهذا فيه دليل التقوى والورع كأنه يكافئه على إيجـاده إياه بتخليـد اسمه في أول كلماته، ثم ذكـره اسمه دليل على عبادته الحياة ورغبته بعد الموت أن لا يموت اسمه، كأنه أعطى الحياة الآتية من بعد شخصـاً ليس فيهـا، ولكن لا بد أن يكون فيها ولا بـد أن يبقى فيها ما بقيت العربيـة، وتأمل كيف جعل نفسه (يقول) وهو ميت لا يقول شيئاً، فهذا دليل على أن لهنوات النفوس عنده شخوصاً.. كما أنه دليل على طفولته الخالدة، إذ أظهر صفات الطفل أن يلفت النظر إليه.. إلخ.

أفيُسَمَّى مثل هذا الـكلام الصحافي بحثاً في البيان والأدب والاستدلال على الحياة بالشعر؟.

* * *

تكلـم المؤلف في المقدمة عما سماه الطبيعـة الفنية، ونقل قول ابن خلكان في وصـف ابن الرومي إذ يقول: «هو صاحب النظـم العجيب والتوليد الغريب، يغوص على المعاني النـادرة فيستخرجها من مكامنهـا، ويبرزها في أحسن صورة، ولا يـترك المعنى حتى يستوفيه إلى آخره»، قال العقاد: «وهذا وصف صـادق كله ولكنه ليس بـكل الوصف، فهو تعريف ناقص والناقص فيه هو المهم؛ إذ هو هو المزية الكبرى في الشاعر، وهو هو الطبيعة الفنية التي تجعل الفـن جزءاً لا ينفصل من الحيـاة، ثم انسحب على هـذا المعنى وخلط فيه علـى طريقته المعروفة التي تـدل القارئ المتبين أن الكاتـب يشعر دائماً بأن رأيـه لضعفه أو شذوذه موضـع المنازعة والمحاجة، فهو يرقعه من كل فتوقه، ويضطـره ذلـك أحياناً أن يأخـذ رقع الثوب مـن الثوب نفسه، فـإذا ناحية مرقوعة بناحية ممزقة..

ليس ابن الرومي لغزاً بشرياً، فإنه كان شاعراً (صاحب توليد غريب ومعان نادرة، ولا يترك المعنى حتى يستوفيه إلى آخره)، فهل هذا إلا من أنه صاحب طبيعة فنية وإحساس حي وأن ذخيرة نفسه تتطلب التعبير للافتنان فيه؟ وهل كان واجباً على أدبائنا وعلمائنا المتقدمين أن يبقوا أحياء على الأرض ألف سنة حتى يقرؤوا الكتب الأدبية الأوربية الحديثة، ويصفوا ابن الرومي بألفاظها ليتمموا التعريف باللغة الأدبية المترجمة التي لا يقبل في مصر غيره؟».

إنما خلط العقاد ذلك الخلط لأنه لم يفهم معنى (التوليد) ولا المعاني النادرة، وظن هذا كلَّه صناعة وزخرفاً و(أدوات للتعبير) حتى قال: فإذا لم يكن عند الشاعر ما يعبر عنه، فكل معانيه وتوليداته ونوادره لغو لا حاجة بنا إليه، وإذا ما كان عنده ما يعبر عنه واستطاع التعبير بغير توليد ولا إغراب ولا استغراق، فقد أدى رسالته.

ونحن نقول: إنه ليس على وجه الأرض عبقري ذو طبيعة فنية إلا وأساس عبقريته (التوليد) وحده؛ لأن هذا التوليد هو الإحساس الحي للمعاني، وهو القوة التي يتحول بها الكون في نفس من الأنفس الرقيقة إلى التعبير، وهو أساس الإلهام والدرجة الممكنة من الوحي لغير الأنبياء، وبه يحسُّ العبقري أن الكون في ذاته وأنه مترامي الحدود مع الأشياء، وأن الحياة مضاعفة فيه بآلامها وأفراحها، وأنه منصوب لتفسيرها مهيئاً لإبلاغ رسالة من رسائلها.

فليس التوليد أخذ معنىً من غيره؛ فإن هذا بعض عمله، أما هو فهو الملكة المتأتية من أسباب كثيرة: أولها الطبيعة الفنية التي لا يخص الله بها إلا أهل هذه الملكة وحدهم، وفي الجملة فالتوليد هو اسم آخر للجهاز العصبي الدقيق المرهف المستحكم، إذ لا يستطيعه إلا من وُهب هذه الموهبة أو من أُصيب بها، فلو فَقَدَ ابن الرومي مَلَكة التوليد لكان نظَّاماً ليس غير، والعجيب

أن العقـاد يقول: فقد تحذف منـه توليداته ومعانيه، ولا تحذف منه عناصر الشاعرية والطبيعة الفنية.

أحـذف! ويحـك، توليدات ابن الرومـي ومعانيه، فكيف تعـرف أنه شاعر؟! وكيف يبلغك في التاريخ وما هي عناصر الشاعرية التي تدلك عليه؟! وإذا لم يكـن إلا رديئه والساقط مـن كلامه والسخيف من معانيه؛ فكيف بهذا يكون عنـدك (الشاعـر من فرعه إلى قدمـه) وهو قد حُرم طبيعـة الشعر وملكة الاستجابة للإحساس التي سموها بعملها أي التوليد؟!

وتكلـم المؤلف عـن عصر ابن الرومـي -وعصر ابن الرومي هـو عصر كلِّ شاعـر كان فيه- فلـو ترجمنا لمائة شاعـر من أهل هذا العصـر، لوجب أن يتكـرر هذا الفصـل مائة مـرة، على أن عصـر الشاعر، ليس هـو الخلفاء والأمـراء والحكام والنظـام والأقطاع والحالـة السياسيـة والحالة الدينية والحالـة الأخلاقية، وهـذا الحشو الثقيـل المل، بل هو مـا اتصل بالعصر وحياتـه من الشاعر نفسه، وهبك تكتب عن رجل في مستشفى المجاذيب فما صلـة هـذا الرجل بالخلفاء والأمـراء والسياسة والدين إلـخ إلخ؟ إنَّ عصر مجنون في مستشفى المجاذيب هو مستشفى المجاذيب لا غير.

وانتقـل المؤلـف لأخبار ابن الرومـي؛ فظنَّ عند نفسه أنـه استقصاها، على حـين قد فاتته أشياء كانت أمسَّ بموضوعه منها: هذا الخبر الذي يدل على أن الشاعـر كان يُـدوِّن آراءه؛ فقد نقلوا أنهم عـثروا في بعض (تسطيراته) علـى كلام اعتذر به عن أبي تمام؛ فقال: إنه يطلب المعنى ولا يُبالي باللفظ، حتـى لـو تم له المعنى بلفظـة نبطية لأتى بها، وهذه هـي طريقة ابن الرومي بعينها، فالخبر نص في أنه يتبع أبا تمام، كما كان يتبع جريراً في طريقته في الهجـاء من بنائه على السخر وإغراقه في ذلك، والإضحاك به، وهذا أيضاً

لم يذكـره العقـاد، ولو أطال أبو تمام الشعر إطالـة ابن الرومي لما أفلح، ولو خفَّـف ابن الرومي تخفيف أبي تمام لما أخفـق، فكل ما خلط فيه العقاد من أسبـاب خيبـة ابن الرومي لا يتوجه منه شيء؛ وإنمـا السبب في تلك الخيبة غوصـه على المعاني وطول قصائده، فهما مصيبتان إذا أُريد بهما التكسب، وهمـا السرُّ في ضعـف صناعته الشعرية، وأنـه كان يسفسف كثيراً ويضعف وذلك بعض ما تخلف به.

كتاب ابن الرومي.. نقد وتحقيق[1]

يجـيء في كتاب العقاد بـابٌ يملأ 186 صفحة لا يستوفيها القارئ إلا بعون الله، وكأن الله سلَّط علـى ابن الرومـي طولاً بطول، وثرثـرة بثرثرة، وهذا الباب في استخراج حياة ابن الرومي من شعره، وهو الذي بُني عليه الكتاب، ومـع ذلك فهـو أقبح عيوبه، إذ لا يؤرخ الشعر قائلـه، وخاصة إذا كان يمدح لينال، ويهجو لينال، ويحتال لينال، وليس عنده إلا المنالة، فمثل هذا الشاعر يكـون أكثر كلامه بضاعة وصناعـة، ولصناعة الكلام حكمها، فالشعر فيها منافسـة بين القائمين بها والعائشين منها، لا ينظم أحدهم معنىً إلا نافسه الآخـر في المجيء بمثله، ومـا أحسبك تحكم على المُغنِّي بأنه متدلِّه في الحب لأنـه يتغنَّـى به، إذ كان لا يتغنَّى بالحب إلا ليُطـرب سامعيه، ولا يُطربهم إلا للأجر والمنالة.

ثـم الشعر مبالغات ومتناقضات، وبخاصـة عند ابن الرومي؛ فطريقته التي اشتُهر بها هي نقض المألوف والخلاف على الناس، لا من عقيدة ولا من رأي ولا فلسفة؛ بـل صناعة جدل وبرهان لإظهار اقتداره على القول واتساعه في مذاهبـه حتى قال المعرِّي وذكر ما يقوله البغداديـون في تشيُّعه واستدلالهم علـى ذلـك بقصيدته الجيمية: مـا أراه إلا على مذهب غـيره من الشعراء، وهـذه العبارة أوردها العقاد في كتابه ولم يفهمهـا، فظنَّ أن المعري لم يطَّلع على شعر ابن الرومي؛ فخَفِيَتْ عنه حقيقة مذهبه.

قُلنـا: ولكن المعري –وهـو قريب من عصر ابن الرومي– يعلم أنه من العبث استخـراج حياة الإنسان من شعره، وأن مذهب الشعـراء أنهم يقولون ما لا يفعلون، ويتقربون لكل إنسان من طريقه، لا من طريقهم، إذ هم لا يذهبون

(1) مجلة المعرفة السنة الأولى، الجزء العاشر، رمضان 1350هـ / 9 يناير 1932م.

بالشعـر إلى دورهم أو إلى دور الكتب؛ بل إلـى القصور والدواوين ونحوها، وهـذا البحتري قالـوا: إنه كان يُكنَّى أبـا عبادة، ولما دخل العـراق تكنَّى أبا الحسـن، ليتقرب بهذه الكنيـة إلى أهل النباهة والكُتَّـاب من الشيعة. فهذا معنى قول المعري: ما أراه إلا على مذهب غيره من الشعراء.

ولم يفـت العلمـاء أن يُنبِّهـوا على طريقة ابـن الرومي وكذبه علـى الأشياء والحيـاة؛ فقال الجرجاني في كتاب (الكنايـات) بعد أن أورد شعره في مدح الحسـد: «وابن الرومي في قدرته على الكلام وتمكُّنه من التصرُّف في شعره يصـف الأشياء بغير صفتها، ويحليها بغير حلاها؛ فقال يمدح الموت وخالف الناس[1]:

قد قلتُ: إذْ مدحوا الحياة فأَكْثَروا:

للموتِ ألفُ فضيلةٍ لا تُعرفُ

فيها: أمانُ لقائِهِ بلقائِهِ،

وفراقُ كلِ معاندٍ لا يُنصف»[2]

هـذا ابـن الرومي يمدح الموت ويقـول فيه ألف فضيلة مـع أن العقاد يستدل بشعره على أنه كان يعبد الحياة!

ويقـول المرتضى في كتابـه (الشيب والشبـاب) بعد أبيات لابـن الرومي في الخضـاب: وجدتُ ابـن الرومي يتصرَّف في هـذا المعنى ويعكسـه، وفلسفة هذا الرجل في شعـره، وتطلبه لطيف المعاني مع إعراض عن فصيح العبارة وغريبها، وإن كانت مذمومة في الأغلب الأكثر، ربما أثارت دفيناً[3].

---

(1) لم يذكر العقاد في كتابه هذا النص (الرافعي).

(2) ديوان ابن الرومي 4 / 1625، وفي المقال: (وأسرفوا)، (منها أمان)، و(كل مُعاند).

(3) لم يذكـر العقـاد هذا النص في كتابه أيضاً مع أنه رأي عالم محقق دقيـق يصح أن يُؤخذ رأيه في أسلوب

وسِرُّ ابن الرومي كلِّه –وهو ما لم يتنبه إليه أحد إلى الآن- أنه نقل الطريقة الكلامية إلى الشعر، وكان رجلاً متكلماً ذا جدل وبيان، وقد رأى أساس هذه الطريقة في شعر أبي نواس وابن الضحَّاك وغيرهما، وفي شعر علماء الكلام: كبشر بن المعتمر؛ فوافقت منه هوى وطبيعة، فقصدها وبنى عليها، وتوسَّع فيها حتى تقرَّرت له وعُرف بها، وتلك هي الطريقة التي تتقرَّر بها المذاهب الأدبية، فابن أبي ربيعة بَنى مذهبه على أبيات أعجبته من كلام امرئ القيس، وأبو نواس بَنى على الأعشى، وأبو تمام بَنى على مسلم، وهكذا.

وفي كل قصيدة من قصائد ابن الرومي ترى ملكة الشعر وملكة الجدل تتصارعان وتتجاذبان، وهذا سر سفسفته، وهو الذي يبعثه على استيفاء المعنى إلى آخره وإماتته حتى لا يترك فيه بقية، كما أنه هو السبب الذي نهض عند الناس بمقاطيعه وسقط بقصائده حتى مات أكثر ديوانه وحتى كأنه لم يقل إلا أبياتاً ومقاطيع، وهذا الأديب الكبير القاضي الجرجاني يقول في كتابه (الوساطة): نجده (كثيراً) ينتحل تفضيل ابن الرومي ويغلو في تقديمه، ونحن نستقري القصيدة من شعره، وهي تناهز المائة أو تربي أو تضعف، فلا نعثر فيها إلا بالبيت الذي يروق أو البيتين، ثم قد نسلخ قصائد منه وهي واقفة تحت ظلها جارية على رسلها، لا يحصل منها السامع إلا على عدد القوافي وانتظار الفراغ[1].

وابن الرومي نفسه كان يعرف أن طريقته هذه مرذولة لا تقع بالموافقة ممن يمدحهم، فيقول في شعره لمدوحه:

ابن الرومي على أنه رأى عصره (الرافعي).

(1) هذا النص مما فات العقاد أيضاً، فلم يذكره في كتابه.

أول ما أسـأل من حاجة
أن تقرأ الشعر إلى آخره[1]

أهي قصيدة ويلك؟ أم هي ضريبة قراءة على الممدوح؟!

إن العقَّاد في زعمه استخراج حياة ابن الرومي من شعره، وإغفاله كل ما مرَّ بك، هو في رأينا كالذي يزعم لك أن بائعة الدجاج المسكينة هي أكثر الناس أكلاً للدجاج واستمتاعاً بلحمه، مستدلاً على ذلك، بكثرته عندها وقدرتها عليه أي وقت شاءت، ويذهب عنه أن هذا الدجاج إن كان عند الناس لحماً يُؤكل؛ فهو عند هذه المسكينة مالٌ يُجمع.

وفات العقاد في استخراجه أن يزعم أن ابن الرومي كان يبغض القمر لقوله في ذمِّه:

يا سارقَ الأنوارِ من شمسِ الضحى
يا مُثْكلي طيبَ الكَرَى ومُنَغِّصي[2]

كما فاته أن يستدل بهذا على أن ابن الرومي لم يكن يجد النوم في الليالي المقمرة، وهذا يدل على أن داره كانت متهدمة، فإذا طلع القمر وقع في مخدعه لا يستره شيء، وبقي طول الليل فوق عينيه فلا ينام؛ لأن أجفانه بالغة كل مبلغ من الضعف والاهتياج.

أرأيت إلى أين تنتهي طريقة الاستدلال بالشعر على الحياة؟ وأنها تحكم على ابن الرومي بأنه جلف لا يدرك معنى الجمال في القمر، فمن ثم ليست فيه طبيعة فنية، ولا يصغي إلى سر الحياة ولا ولا.. إلى أن تنتقض بهذا

(1) ديوان ابن الرومي 3 / 908، وفي مقال الرافعي: (أن يقرأ).

(2) البيت لابن المعتز وليس لابن الرومي، انظر: ديوان ابن المعتز، دار صادر، بيروت، دون تاريخ، ص 286.

البيت وحده كل ما زعمه العقاد؛ فإذا كتابه كتاب مزوَّر.

ومن أغرب ما استخرجه المؤلف؛ ما زعم أنه وصفٌ لابن الرومي، وكله تلفيق، ومن أعجبه قوله: كان إذا مشى اختلج في مشيته، ولاح للناظر كأنه يدور على نفسه، أو يغربل لاختلال أعصابه واضطراب أعضائه، واستدلَّ على ذلك بقوله:

إن لي مشيةً أغربِلُ فيها
آمناً أن أُساقط الأسقاطا[1]

قال: وهذه المشية معروفة تدل عليها حركة الغربلة، وتكثر فيمن بهم خلل في العصب أو العضل.

قلنا: لم يفهم العقاد معنى (يُغربِل) فإن مشية الغربلة كناية عن معنى آخر، إذ رمى بعضهم ابن الرومي بالتخنُّث، واستدل بمشيته تلك -وهي مشية فيها تَرَجْرُجٌ وتَفَتُّلٌ يهتز بها المنكبان، ويقبل الوجه مرة إلى يمنة، ومرة إلى يسرة، كما تصنع المرأة إذْ تنفض الغربال؛ فيرتج عطفاها على حركته، وتلفت وجهها عن يمينٍ مرةً ويسارٍ مرةً لتنفخ ما يخالط القمح من التراب ونحوه- فكأن قولهم (يُغربِل) كناية عما وراءها، كما يكنون عن الشيخ الهرم الفاني بقولهم (يَعْجِن)؛ لأنه لضعفه إذا قام عن الأرض اعتمد على جمع كفيه كما يفعل العاجن، فأقر ابن الرومي الوصف، وقلبه على طريقته من الذم إلى المدح بالتكملة التي زادها عليه.

ثم هذه المشية لا تكون من ضعف ولا خلل في العصب، وإنما ينشأ الناشئ عليها تقليداً ومحاكاة، وقد رأيناها في رجال أقوياء، ولا يُقال فيها إن

---

(1) ديوان ابن الرومي 4 / 1438.

صاحبها يلوح للناظرين كأنه يدور على نفسه، فما فيها غير رجفان المنكبين وتلفت الوجه، أما تلك التي يستدير فيها الجسم فهي مشية خاصة بالنساء، يقولون زافت المرأة إذا فعلت ذلك.

وتكلم المؤلف عن عبقرية ابن الرومي، فزعم أنها عبقرية يونانية، وبنى على هذا بناء من الرمل لا يكاد يرفعه في صفعة إلا انهار في التي بعدها؛ بل جاء هو في آخر الفصل يقول: «فحسبنا إذن من كلمة العبقرية اليونانية أنها مفهومة بلغة الآداب، وإن لم تكن مفهومة في لغة الأنساب، يعني أن ابن الرومي ذو عبقرية يونانية وإن لم تكن يونانية، أما إنه كذلك لأنه من سلالة اليونان، فذلك قول لا نجزم به، ولا نجزم بنفيه؛ لأنه يستطيع أن يكون كذلك ولو لم يكن من تلك السلالة».

نقول: إذن فلا معنى لتسميتها عبقرية يونانية، وإن كانت واقعة على مواقعها عند اليونان؛ بل أحرى بها أن تُسمى عبقرية عربية؛ وإن لم يكن لها شبيه عند العرب، ما دام ابن الرومي يستطيعها، ولو لم يكن رجع إليها شيء من الوراثة اليونانية.

إن كانت كلمة العقاد ثناء على ابن الرومي فلبئس ما أثنى؛ لأن الأدب العربي هو الحقيق أن تُنسب إليه عبقرية خصَّ بها صاحبها الذي لا يعرف غير العربية وكان بها ذا قدرة (سبق بها الشعراء في الأمم كافة بغير شك ولا تردد، هي قدرته البالغة على نقل الأشكال الموجودة كما تقع في الحس والشعور والخيال) صفحة 292، (ويستخدم السخر في الهجاء والمديح والمطايبة والمعاتبة، ويعرض لك في متحفه الكبير تلك الصور الهزلية التي لا مثل لها في شعر واحد من شعراء العالم كله) صفحة 129.

إننا نقف خاشعين عند هذا التحقيق العلمي الدقيق المحيط بشعر شعراء

الأمم كافة والعالم كله في قديمه وحديثه، ويسرنا أن تكون مصر قد خصت براوية يروي لكل أمة من الأمم كافة شعر جميع شعرائها في العالم كله، ونُسلِّم للعقاد أنه اطَّلع على كل ذلك وحققه ورواه؛ ولكننا لا نُسلِّم له أنه اطلع على الشعر العربي، وإلا فليأتنا بدواوين: بشار، وابن هِرمة، ومنصور، وأشجع، وابن الضحَّاك، والورَّاق، وابن الجهم، وابن بسَّام، وعشرات ومئات بعد هؤلاء وقبل هؤلاء، وهل قرأ شعر محمد بن عبدالعزيز الذي نظم قصيدة تربي على أربعمائة بيت في وصف حاله وتنقله في الأديان والمذاهب والصناعات؟ وهل وقع إليه ديوان الواساني الذي خلف ابن الرومي في طريقته، وقال فيه الثعالبي: «أعجوبة الزمان ونادرته، كان في زمانه كابن الرومي في أوانه»؟ وهل قرأ ديوان ابن حجاج الذي انفرد بطريقة في الهجاء والسخر أسقطت ابن الرومي، وعفت على ديوانه وبلغ شعره خمسين ألف بيت، وقال فيه الثعالبي: «ديوان شعره أسْيَر في الآفاق من مثل... كثيراً ما بيع ديوان شعره بخمسين ديناراً إلى سبعين؟» وهل قرأ شعر ابن بسام الذي كان يقلده ابن الرومي في الهجاء ويسرق من معانيه وهو معاصره، وقد هجا الخلفاء والأمراء والناس جميعاً وأباه وأمه؟.

قبل أن يزعم العقاد تلك المزاعم الفارغة عن شعر شعراء الأمم كافة والعالم كله، يجب أن يُثبت لنا أنه أحاط بالشعر العربي وحده، وأنه استخرج من ذلك أن ابن الرومي متفرِّدٌ فيه، أما التهجُّم بغير علم، والزعم بغير دليل، ودعوى الثقة واليقين بلا برهان صريح، ولا دلالة قاطعة؛ فهذا كله ضرب من صناعة الكتابة الصحافية، لا من صناعة التحقيق التي لو استعرضنا بها الكتاب صفحة صفحة، ومسألة مسألة، لخرج أكثره تلفيقاً وإغراقاً، وتزيداً وجراً للكلام على الاقتسار والمكارهة، كما ترى في هذه المسألة التي

حشرها حشراً في صفحة 322 ليتباصر بأنه يعرف النحو، وهو من أجهل الناس به، إذْ قال عن ابن الرومي: «أما لفظه من حيث هو صحيح أو خطأ؛ فلفظ عالم بالنحو مطلع على شواهد العربية ولا سيما في القرآن، ومن هنا لم يذكر كلمة (أشياء) إلا ممنوعة من الصرف، وهي مصروفة في قول القياسيين من النحاة؛ لأنها جمع شيء، فهي (أفعال) جمع (فعل)، وليست (فعلاء) مؤنث (أفعل)، (كذا كذا...) التي تمنع من الصرف، وإنما تابع المفسرين في هذا، ولم يتابع القياسيين من النحاة؛ لأن كلمة (أشياء) وردت في سورة المائدة ممنوعة من الصرف، وتعليل المفسرين لذلك: أن (أشياء) اسم جمع كـ(طرفاء)، غير أنه قُلبت لامه فجُعلت (لفعاء)، وقيل: (أفعلاء) حذفت لامه، جمع لشيء كهين، أو شيء كـ(صديق) فخُفِّف، وهذه المخالفة للنحاة القياسيين هي كما ترى أدلُّ على العلم منها على الخطأ».

فما الذي يُفهم من هذا الخطأ؟ يُفهم أن (أشياء) مصروفةٌ عند القياسيين من النحاة، وممنوعةٌ من الصرف في القرآن؛ فلذلك علَّلها المفسرون غير تعليل النحاة (طبعاً) واتبعهم ابن الرومي، فكان هذا أدل على العلم منه على الخطأ، أي منع الصرف خطأ في ناحية، والصرف خطأ في ناحية أخرى، فكأن النحاة القياسيين يخطِّئون القرآن.

ولكن في أي كلام وردت (أشياء) مصروفة؟ ومن هم النحاة الذين يقولون بخطأ منعها من الصرف أو يُجيزون صرفها؟

كل ما في هذه المسألة أن النحاة رأوا الكلمة ممنوعة من الصرف، ورأى بعضهم أن القياس كان يقتضي أن تكون مصروفة، فذهبوا يعتلون بعلل مختلفة تسويغاً لمنع الصرف[1]، أما الكلمة فهي من حيث وقعت، فلا تثبت

(1) استوفى هذه العلل كلها صاحب (تاج العروس) في مادة (شاء) وبسط الكلام عليها ورجَّح منها، فليرجع

لابـن الرومي علماً ولا جهلاً، وإن أثبتت للعقـاد أنه ظفر بمسألة من مسائل التصريف نقلها ولم يفهم منها شيئاً.

وبعد، فما أحق ابن الرومي أن يقول في كتاب العقاد عنه:

وكـانـت أَيْـكَـتـي لـيـدٍ اجـتـنـاء

فـعـادتْ بـعـده لـيـدٍ احتطابِ[1]

إليه القارئ إن شاء (الرافعي).

(1) ديوان ابن الرومي 1 / 258.

الشعر الفني في نظم شوقي بك[1]

يقـول الفاضل علي محمد البحراوي (سكرتـير جماعة الأدب المصري) في مقالـه هـذا المنشور في العدد الخامـس من (أبولو) صفحـة[2] 398: وأذكر أن صديقـاً من الأدباء الممتازين كان واضـح الإعجاب بالمعنى الذي تضمَّنه البيت الآتي الذي نظمه شوقي على لسان قيس في رواية (مجنون ليلى)[3]:

ليلى، مُنادٍ دعا ليلى فخفَّ له

نشوانُ في جنباتِ الصدرِ عربيدُ[4]

وكان الصديـق يلقـي البيت إلقاءً بديعاً؛ فذكره لشوقـي، وسأله عن ظروف نظم هذا المعنى الرائع؛ فاهتز شوقي للبيت لدى سماعه اهتزازاً له، وخاض في لُجَّة من التفكير أذهله عن سؤال الصديق لحظة؛ فلما انتبه وذكر السؤال بادر إلى الجواب، ولم يكن إلا كلمة واحدة: لا أدري.

قـال الكاتـب: (وهذا حقٌّ؛ فـإن شوقي لم يكن يدري كيـف هبط هذا المعنى عليه، فهو وحي العبقرية).

ثـم أشـار الكاتـب إلى مقالي الـذي نشـره (المقتطف) عـن شوقي –رحمه الله– وزعـم أني وُفِّقتُ في هذا المقال إلى حدٍّ لم يكن ينتظر من أحد شعراء المدرسة القديمة، قـال: «ولكن ثمة مسألة جديرة بالبحث: تلك هي إعجابه ببراعة شوقـي في استخراج المعاني وتوليدها من معـاني غيره من الشعراء المتقدمين، أو أخذه على شوقي عدم توفيقه إلى ذلك».

---

(1) مجلة أبولُو، يناير 1933م، ص 534 – 535.

(2) نُشـر مقـال البحراوي عن شوقي في العدد 4 من نفس المجلة، ديسمبر 1932م تحت نفس العنوان (الشعر الفني في نظم شوقي بك)، ص 397 – 408.

(3) يقصد المسرحية المعروفة، وكانت تُسمَّى رواية قبل أن يُصطلح على تسميتها بالمسرحية.

(4) انظر (مسرحية مجنون ليلى(، ص 43، مطبعة مصر، 1911م.

ثم تفضَّل علينا حضرته بثناء عظيم هو أن نصيبنا من الروح الفنية محدود في رأي حضرته، وكان يستطيع أن يقول إنه لا نصيب لنا من هذه الروح، ثم زعم أن الشعر الفني لا يجري عليه ما يجري على سائر المنظوم من أقيسة التوليد والاستخراج، إلخ.

وكأن الكاتب يذهب إلى مناقضتنا، ويحتج ببيت شوقي الذي هبط عليه وحي العبقرية؛ لأن هذا الوحي في رأيه يجعل المواقف متشابهة في الحياة، وأظنه لو سُئل مثلاً على ذلك لقال: كما يتشابه الناس في الأكل والمضغ بأسنانهم وأضراسهم الطبيعية أو الصناعية؛ فلا يقال إن أحداً قلَّد أحداً في ذلك!

ولكن ماذا يرى الكاتب إذا قلت له إن شوقي لم يعلق في قوله: لا أدري!! وإن الكاتب نفسه لم يصدق في قوله: «وهذا حق فإن شوقي لم يكن يدري... إلخ... »!

إن شوقي كان يدري فخدع سائله، وأنك أنت لم تدر فخدعت قرَّاءك؛ لأن ذلك المعنى الذي تقول إنه رائع، وأنه وحي العبقرية، وهو قول شوقي:

ليلى، مُنادٍ دعا ليلى فخفَّ له

نشوانُ في جنباتِ الصدرِ عربيدُ

هو بعينه قول المجنون:

دع باسم ليلى غيرها فكأنما

أطار بليلى طائراً كان في صدري[1]

وبيت المجنون أشد امتلاءً بالحسن، وأبدع تصويراً للمعنى، وأسلم في

(1) راجع ديوان مجنون ليلى، ص 124، جمع وتحقيق وشرح عبدالستار فراج، ط مكتبة مصر، القاهرة. وفي المقال (دعا) بدلا من (دع).

عباراتـه من التكلـف، وأبعد عن التلفيق الذي يجعل القلـب نشوان عربيداً،
كأنه ليس في أضلاع صاحبه؛ بل في حانة بولاناكي!
وفي بيت شوقي غلطة نحوية يجب أن لا تخفى على أي أديب.

نَقْدٌ ورَدُّه[1]

حضرة محرر المقتطف:

سرَّني ما قرأتُ في مقتطف شهر نوفمبر 1932 للفاضل عباس محمود العقاد من دفاعه عن شوقي -رحمه الله- وتخطئتي في مسألتين استخرجهما من مقالي، وزادني سروراً أن أكون الذي جعل العقاد ينحاز إلى شوقي!

المسألة الأولى:

أشرتُ في مقالي إلى غلطة شوقي في قوله:

إن رَأَتْنِي تَمِيلُ عنِّي كأنْ لمْ
تَكُ بيني وبينها أشياءُ[2]

وقلتُ إن صوابها (تَمِلْ)؛ لأنها جواب (إنْ) الشرطية، فقال العقاد: «والذين يعرفون النحو!!! يعلمون أن الخطأ إنما هو في تصحيح)كذا) الرافعي؛ لأن رفع جواب الشرط المسبوق)كذا) بفعل ماض صحيح مستحسن كجزم الجواب على السواء (كذا) لم يُخطِّئه أحدٌ قط من علماء اللغة والنحاة».

نقول: ولكن إذا كان الرفع والجزم سواءً، وكان تصحيحاً بالجزم فكيف يكون الخطأ (إنما هو في التصحيح)...؟ كما أنهم لم يقولوا إن الجواب الذي يرفع هو (المسبوق بفعل ماضٍ)؛ بل هو الذي يكون فيه الشرط فعلاً ماضياً، وشتان بين كلام وكلام.

---

(1) المقتطف، المجلد 82، الجزء الثاني، 6 شوال 1351هـ / 1 فبراير 1933م، ص 229 - 233. يقول في رسالته المؤرخة في 15 مارس 1933م لأبي رية: «لقد فرَّ العقاد من المناقشة النحوية التي فتح بابها في المقتطف وأعلن هزيمته، وسأسجل عليه هذه الهزيمة في المقتطف نفسه، وكنتُ لا أصدق أنه يفر! وكان كل الذين اطلعوا على كتابتي في المقتطف عن المسألة النحوية يؤكدون لي أن العقاد سيسكت ولا يرد؛ لأنها عقدة لا يمكن حلها» رسائل الرافعي، ص 256.

(2) الشوقيات 3 / 112، تقديم محمد حسين هيكل، مكتبة مصر، القاهرة.

يُشير الكاتب إلى القاعدة المذكورة في كل كتب النحو من أن الجواب يُرفع أو يُجزم إذا كان الشرط ماضياً لفظاً أو معنى، والجزم هو المختار عند قوم، والرفع جائز، وعند قوم العكس، وعند آخرين يجب الرفع، ولم يقل أحد من النحويين إنهما (على السواء).

ولكن مع ورود هذه القاعدة في كل كتب النحو لا يزال بيت شوقي عندنا غلطاً؛ لأننا لسنا من (الذين يعرفون النحو) معرفة النقل من الكتب والتقيد بالرأي خطأ وصواباً، ولا هذا مذهبنا في الأدب، ولا في اللغة، ولا نُقلّد أحداً، ولا نتابع أحداً؛ بل لا بد أن يمرَّ ما في الكتب من هذا الرأس بدياً فيجيء مجيئه الأول من ناحية أهله، ثم مجيئه الثاني من ناحيتنا، إذْ لم تكن صناعتنا الترجمة ولا التلخيص؛ فتجعل طبيعتنا النقل والإغارة على أقوال الناس، وخلط شيء بشيء، وادعاء الخليط كما يفعل أكثر المترجمين الذين يأبون إلا أن يكونوا كُتَّاباً وأُدباء، لا من ناحية أنهم أدباء وكتّاب؛ بل من ناحية أنهم تراجمة...

وسنعرض هنا كل أقوال النحاة في رفع جواب الشرط على نسق من القضايا ونعترضها بالنقد، ثم نترك الجواب عنها لنحويِّنا الجديد؛ لعلنا نفيد منه علماً لم نجده عند سيبويه ولا الخليل ولا المبرد ولا غيرهم.

1 - لا يمكن أن يُجعل رفع الشرط في تلك الصورة قاعدة يُقاس بها إلا إذا سمع في الكلام المنثور دون المنظوم، إذْ النظم محل الضرورة في أشياء كثيرة معروفة، أما النثر فهو على السَّعَة، ولا يجوز فيه إلا الجائز، فما هي الأمثلة التي نقلها النحاة عن العرب لتلك القاعدة؟ وعن أي القبائل سمعت؟ وهل هو السماع الذي يعضِّده القياس أم السماع الضعيف؟!

2 - لم يزيدوا في كتبهم على أن قالوا إن ذلك مسموع، ولم يزد سيبويه في

كتابه على هذه العبارة: «وقد تقول (تأمل): إن أتيتني آتيك، أي: آتيك إن أتيتني. قال زهير:

وإنْ أَتَاهُ خليلٌ يومَ مسألةٍ

يقولُ: لا غائبٌ مالي ولا حَرِمُ[1]

فأنت ترى أن سيبويه يضع مثالاً ويأتي بالشاهد عليه من الشعر، والشعر محلُّ الضرائر يجوز فيه ما لا يجوز في الكلام ولا اضطرار في بيت شوقي إذ يستطيع أن يقول: إن رأتني تصدّ عني، فلا شاهد في كلام سيبويه على رفع الجواب.

3 - إن أداة الشرط تجزم فعلين؛ فإذا كان الجواب مرفوعاً؛ قيل في إعرابه أنه فعل مضارع مرفوع في محل جزم، فإذا لم تكن ثمَّ ضرورة من الوزن؛ فما الذي يمنع الجزم أن يظهر على الجواب في كلام هو من لغة النهار والليل؟! وما علة تقدير الجزم؟! ولماذا يقدر في مثل (إنْ زرتني أُكرمُك) وأنت تستطيع أن تقول: (أُكرمْك)؟!

4 - من أجل هذه العلة يقول سيبويه ومن تبعه: إنَّ (أكرمُك) في مثل هذه الصورة ليست هي الجواب؛ بل الكلام على نيَّة التقديم أي الأصل (أُكرمُك إن زرتَني) فالجواب محذوف، وفي هذا الرأي -وهو أقوى الآراء وأسدّها- لا يُقال: إنَّ جواب الشرط مرفوع، ثم إنَّ فرقاً في البلاغة بين قولك (أُكرمُك إن زرتني) وقولك (إن زرتني أكرمك) فلماذا يقلب سيبويه إحدى العبارتين إلى الأخرى على حين قائلها لم يرد إلا وجهاً بعينه، وما هي ضرورة التقديم ما دام الكلام على السعة؟!

---

(1) راجع: ديوان زهير بن أبي سلمى ص 115، شرح وتقديم علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 1408هـ / 1988م.

5 – ومـن أجـل هذه العلَّة أيضاً يقـول الكوفيون والمُبرِّد مـن البصريين: إنَّ (أكرمُك) ليست هي الجواب، والكلمة على تقدير الفاء، فالأصل (إن زرتني فأكرمُـك)؛ وبهـذا يكون الجواب جملة اسمية، ولكـنْ ما هي ضرورة حذف الفاء وتقديرها في وقت معاً والكلام ليس موزوناً يختلُّ معه الوزن إن ذكرت الفـاء، وقائلهـا لو أرادها لذكرهـا؛ لأن الجملة من الـكلام المبتذل الذي لا يـراد منه شاهد في البلاغة؟ وهم قاسوا ذلك علـى مثل قوله تعالى: (وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيـلاً) (البقرة: 126)، (وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّه مِنْهُ) (المائدة: 95)، (فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْساً وَلَا رَهَقاً) (الجن: 13)[1]، ولكنهم غفلوا عن سر هذه الفاء فقاسوا عليها ذلك أمثال المبتذل، ولعل نحويًّنا يُبين للناس هذا السر.

6 – ويقـول بعضٌ من ذهبوا إلى أن سبب رفع الجـواب تقدير الفاء أن هذه الفـاء تقـوم في إفـادة الربط مقام الجـواب؛ فيصبـح رفعُهُ وتـركُ جزمه استغناء عنه بالفاء، وهذا كما ترى من الخلط.

7 – قـال قـوم من النحاة: إن الـكلام ليس على نية التقـديم ولا على تقدير الفـاء؛ ولكـن لما لم يظهـر لأداة الشرط تأثير في فعل الشـرط لكونه ماضياً ضعـف عـن العمل في الجواب، وهـذا على مذهب أن فعـل الشرط هو الذي يجـزم الجواب وهـو غير الرأي الـذي عليه التحقيـق، إذ يلـزم أن لا يكون الجواب معمـولاً لأداة الشرط لفظاً ولا تقديراً، والجزم ليس قوة ميكانيكية يبطـل تأثيرها إذا انتهى إلى فاصـل لا يتأثر بها فلا تتعدى إلى ما وراء هذا الفاصـل، ثـم إن فعل الشرط إذا كان مضارعـاً مبنياً كان كالماضي في عدم ظهور الجزم فيه، ومع ذلك لا يرفع الجواب بعده، فبطل هذا الرأي كله.

---

(1) في الأصل: (ومن يؤمن).

-8 إن القرآن الكريم وهو أفصح الكلام لم يأت فيه رفع الجواب مطلقاً؛ بل جاء بالعكس في قوله تعالى: (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا) (هود: 15)، وقوله تعالى: (مَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا) (الشورى: 20).

فيُخلَصُ من كل ذلك أن أقوال النحاة ساقطة كلها، وأن الأساس الذي بُنيت عليه من السماع مجهولٌ لم يأت به أحدٌ، وأنه لم يفرق لأحد منهم عن علة مقنعة في زعمهم رفع الجواب؛ بل عارض بعضهم بعضاً، ومتى تعارضت الأقوال تساقطت، وأن الأصل الصحيح الذي بين أيدينا -وهو القرآن الكريم- ينكر هذه القاعدة فلم يأتِ بها ولا مرة واحدة وأتى بخلافها مراراً؛ فكيف يكون التأويل بعد هذا؟! وما هو الوجه الصحيح؟ وكيف يُدفع السماع الذي نصُّوا عليه؟ وكيف يكون الدفاع عن هؤلاء النحاة وهم قد عجزوا عن البرهان القاطع؟!

المسألة الثانية:

قلنا إن من التركيَّة في شوقي إضافات وهمية، لا محل لها في ذوق البلاغة كقوله:

عيسى الشعور إذا مشى
ردَّ الشعوبَ إلى الحياة[1]

فقال العقاد: «وظنَّ أن الشعور هنا زائدة، والصواب أن)عيسى الشعور) في البيت السابق من تشبيه الإضافة المعروف في البلاغة، وليس ثمَّة حشو ولا إقحام في تركيب الكلمات، فالبيت معناه أن الشعور إذا مضى (كذا) في

(1) الشوقيات 3 / 50.

الشعـوب ردَّهـا إلى الحياة كما كان عيسى يُحيي الموتـى، ومثل هذا أن يقال (خمـر الريق) في تشبيه الريق بالخمر على الإضافة أو يُقال (موت الغباء) -حفظك الله- في تشبيه الغباء بالموت على هذا المعنى».

قلنـا وبهذه الأسطر القليلة كدنا ننســى أن العقاد من الذين يعرفون النحو؛ إذ هـو لا يميـز في معاني الإضافة النحوية بين خمر الريق وموت الغباء وبين عيسى الشعـور، ولا يعرف أن الأول إضافة نكرة إلى معرفة تتعرَّف بها، وأن (عيسى الشعور) إضافة معرفة إلى معرفة؛ وذلك ممتنع، إلا إذا جاز تنكير العلـم واعتباره كواحـد من جملة من سُمِّي باسم عيســى، وهذا محال؛ لأنه ليس في الدهر كلِّه إلا عيسى واحد خُصَّ بتلك المعجزة.

وقـال بعضهم: بل تجوز إضافة العلم مع بقاء تعريفه؛ إذْ لا يُمنع من اجتماع تعريفـين إذا اختلفـا؛ وذلك متى أضيف العلم إلى مـا هو متصف به معنى، نحـو: زيـدُ الصدق. قال: يجوز ذلـك؛ وإن لم يكن في الدنيـا إلا زيد واحد، نقـول: «لكـن عيسى -عليه السـلام- لم يتصـف في المعنـى بالشعور» حتى تجـوز إضافته إليه؛ بل اتصف بإحياء الموتى، (والشعور) من صفة كلِّ حي؛ لا مـن خصائص عيسى وحـده، وعلى فرض أن يُقـال إن (الشعور) في لغة العقـاد هو إحياء الموتى فيبقـى أن عيسى لم يُحي آلافاً ولا مئات ولا عشرات مـن الأموات، فالإحياء ليس وصفاً ملازماً لـه ملازَمة الصدق لمن عُرف به علـى أنه طبيعة فيه فتجـوز الإضافة في (زيد الصدق) ولا تجوز في (عيسى الشعـور)؛ وإنما المثلُ الصحيح في هـذا الباب قولهم (زيد الخيل) لملازمته إياها وأنه فارسُها في الغارات، (وعمرو الصَّمْصامة)؛ لأنه لا يضرب إلا بها فكأنها إحدى يديه.

ونحـن لم نقل إنَّ (الشعـور) زائدة -كما توهَّم العقَّـاد- ولا تعرضنا لكونها

إضافة على تشبيه أو على النحوية، ولم نزد على أن قلنا إنها وهميَّة لا محل لها في ذوق البلاغة، فلننظر فيها الآن من هذه الناحية، إن ساغ في ذوق البيان أن تقول: ريقٌ مثل الخمر، وغباءٌ مثل الموت، فهل يسيغ ذوقك أن تقول: شعورٌ مثل عيسى؟ وإذا كان هذا التشبيه بارداً ركيكاً في أصله؛ فكيف يجوز أن تُحيله إلى التشبيه البليغ فتحذف منه أداة التشبيه وتُضيف المشبه به إلى المشبه؛ فتقول: (عيسى الشعور) إذا فعل وفعل؟ والفرق بين قولك: (ريق كالخمر) وقولك: (خمر الريق)؛ أن هذه الصورة الثانية تجعل الفرع في المبالغة كأنه الأصل لا الفرع؛ فيصبح الريق ألذَّ وأقوى وأعظم نشوة من الخمر، وكأنها عرفت به ولم يُعرف هو بها، فهل يجوز على هذا أن يجعل الشعور أقوى وأعظم في المعجزة من عيسى؟!

وهنا يجب أن أصرح أني لم أقرأ قصيدة شوقي التي منها (عيسى الشعور) إلا في كتاب الديوان الذي أصدره العقاد في سنة 1921م حين توهَّم أنه يستطيع أن يهدم شوقي بمقالة في مثل السهولة الذي تستطيع أن تحمل بها الجبل ملفوفاً في نسخة من جريدة.

وكنتُ أهملتُ كتاب (الديوان) هذا فلم أقرأه مع أني منتَقَدٌ في الجزء الثاني منه باللغة التي ينقد بها العقاد من أقاموه وأقعدوه من غير أن يُقعدوه أو يُقيموه، وإنما قرأت ما كتب عني في نسخة كانت في يد أحد محرري الأخبار ثم تركتها، فلما أردت أن أكتب عن شوقي رأيت واجباً أن أطلع على ما كانوا يرمونه به؛ فطلبت الكتاب من الصديق محرر (المقتطف) لأشير إليه إن كان فيه رأي أو سداد أو طريقة، وجاءني الجزء الأول فمرَّ في إحدى يدي محمولاً وفي الأخرى ملقى به الأرض، إذ ليس فيه إلا التعسف الذي لا يميز، والخبط الذي لا يُهتدى معه إلى حقيقة، وكتب العقاد أربعين صفحة لم

يعرف فيها من مآخذ شوقي إلا بيتاً واحداً هو قوله في الهلال:

تطلعُ الشمسُ حين تطلعُ صُبحاً

وتَنْحمي لمنجلٍ حصاد[1]

وظن أنه أخذه من قول ابن المعتز:

انظرْ إلى حُسْنِ هِلالٍ بَدَا

يَهْتِكُ من أنوارِهِ الحِندِسا

كمِنْجَلٍ قَدْ صِيغَ من فضةٍ

يحصدُ من زُهْرِ الدُّجَى نَرْجسا[2]

قال العقاد: وجاء شوقي فقال إنه (أي الهلال(منجلٌ يحصد الأعمار، وكلام العقاد هذا هو الذي نبهنا إلى نقد الإضافة في (عيسى الشعور)؛ لأن شوقي لم يأخذ من ابن المعتز؛ بل أخذ من شاعر العراق المشهور عبد الباقي العمري الذي كان في القرن الماضي، من أبيات يقال إنها من مبتكراته، وهي:

علينا أَهِلَّةُ هذي الشهورِ

غَدَت تحصد العُمُرَ في مِنْجَل

ودَاسَتْ بيادرُ أيامهِ

نباتَ لياليهِ بالأَرْجُلِ[3]

إلخ إلخ...

---

(1) الشوقيات 3 / 55.

(2) ديوان ابن المعتز، ص 278، دار صادر، بيروت.

(3) راجع: ديوان عبد الباقي الفاروقي الموصلي، المعروف بـ (الترياق الفاروقي من منشآت الفاروقي(، ص 193، مطبعة الطوخي، مصر، ط 1287هـ.

وفي هذه الأبيات يقول العمري إن هذا الحصاد طُحِنَ وعُجِنَ:

وقد خبزته (سُليمى الهموم)

بمسْجُورِ تَنُّورِها المُصْطَلِي[1]

فمن ههنا تنبهنا إليَّ (عيسى الشعور)، وما كان العمري إلا مقلداً الفرس والترك، وديوانه قد طُبع في مصر من ثلاثين سنة، وأهداه طابعه إلى شوقي، وكان صديقه وصديقنا وهو الشيخ عثمان الموصلي، والغريب أن العقاد الذي فسر لنا (عيسى الشعور) هو نفسه الذي قال في (الديوان): «ولكن شاعر العامة يعكس الآية فيقول إن الشعور رد الحياة، وكلنا يعلم أن الحياة هي التي تُنشئ الشعور».

لقد قلتُ في مقالي عن شوقي، وأشرت إلى من حاولوا إسقاطه مراراً إنه «أراهم غباره ومضى متقدماً، ورجع من رجع منهم ليغسل عينيه ويرى»، وتفسير العقاد الآن دليل بيِّنٌ على أنه غسل عينيه.

(1) الموضع السابق.

أول الغَلَطِ من المجمع اللُّغوي(1)

قالت إحـدى الصحف: إنَّ حضرات أعضاء المجمع اللغـوي اجتمعوا... إلى أنْ قالـت: واتفقوا على إرسـال البرقية التالية ورفعها إلـى الأعتاب الملكية، وهذا نصُّهَا:

«أرجـو أن ترفعوا إلى السُّدة الملكية الساميـة؛ أنَّ أعضاء مجمع اللغة العربية الملكـي المجتمعين من مصر والبـلاد العربية والغربية في عهد حضرة صاحب الجلالـة المليك المعظم، ذلك العهـد الناهض باللغة العربية وآدابها، المزدهر بالعلـوم والفنون يتضرعـون إلى الله تعالى أن يمنَّ على جلالته بالشفاء التام والصحة الكاملة ليحظى المجمع بتشريف جلالته لافتتاحه قريباً إن شاء الله، وينتهزون هذه الفرصة لرفع ولائهم وإخلاصهم إلى صاحب العرش المُفَدَّى».

هذا كلام الصحيفة؛ فإن كانت عبارة أعضاء المجمع اللغوي هي بهذا النص؛ فقـد كفَتْنَـا أن نتكلَّمَ في ضعفِها واضطرابها، فهذا أسلـوب لولا إعرابُه؛ لنـزل إلى العامية في تراكيبها؛ بل لعل فيه ما ينـزل دونها؛ فإنهم يرفعون الخطاب إلـى جلالة مولانا الملك؛ ويشيرون إلى عهد جلالته بـ(ذلك)، ويفصلون بين اسـم أن وخبرها باثنتين وعشرين كلمة، ولو أنَّ كاتباً من البُلَغَاءِ صحَّح لهم هـذه العبارة وأدار فيها قلمه؛ فجاء بكلام بينه وبين ذلك النص مثل ما بين الوجه والقفا!.

ومـا لهذا كتبنا هـذه الكلمة، وإنما كتبناها لنسأل حضـرات أعضاء المجمع اللغـوي في كلام فصيـح جـاء مثل هذا التعبـير (ليحظى المجمـع بتشريف جلالته) وهل يجوز استعمال الباء مع (حَظِيَ)؟!

---

(1) البـلاغ، مسـاء الخميس 16 شـوال سنة 1352 — 1 فبراير سنـة 1934، وقد نشـره الرافعي ضمن ثلاثة مقالات في نقد المجمع بتوقيع (أديب صغير) وليس باسمه الصريح، انظر: حياة الرافعي ص 176 و177.

ثم هل يعرف حضراتهم كيف دار هذا الفعل (يحظى) في كلام المتأخرين؟! ومن أي معنى أخذوه؟! وكيف مكنوا له في استعمالهم هذا التمكين؟! أفإنهم إن عرفوا هذا كان ذلك نقداً آخرَ للكلمة.

ويقولون: (تشريف جلالته لافتتاحه) ففي أي كلام عربي يستعمل التشريف بمعنى الحضور! بيد أننا نسمع العامة يعظمون الضيف فيقولون: (شرَّفتَ) وهم بالطبع لا يريدون معنى حضرتَ إذ يكون هذا عبثاً من الكلام، غير أنَّ المجمع اللغوي استعمل التشريف بمعنى الحضور وهو خطأ شائع.

ولعل حضرات الأعضاء يجيئوننا من علمهم الواسع بكلام فصيح يسوغ لهم أن يقولوا: (ليحظى المجمع بتشريف) ويصحَّ لهم استعمال التشريف بمعنى الحضور، فلا ريب أن إليهم المرجع ومنهم الفتوى.

حَظِيَ بالشيء[1]

جاءنا حضرة (أزهري) المنصورة بالحجة القاطعة والشهادة القائمة على أن (حظي بالشيء) هي من كلام العرب، فكان كل ما قاله في هذا هو هذا:

«قال ديوان الحماسة:

أَخْلِقْ بذي الصبر أن يحظى بحاجته

ومُدْمِنُ القرع للأبواب أن يَلِجَا[2]

وقال الأساس: وحظي بالمال، وتقول ما حلي بطائل، ولا حظي بنائل».

ثم مرَّ حضرة الأزهري بعد ذلك في أسلوبه من الحشو الذي نُسميه نحن جدول الضرب المطبعي؛ فلا غرض منه إلا جعل الكلمة الواحدة كلمتين، ثم الكلمتين أربعاً، ثم الأربع ثماني، وهكذا دواليك؛ وإلا فهل في الفضول أعظم من أن يأتي حضرته فيثبت (للأديب الصغير) منزلة أبي تمام في العربية، وينقل له قول الزمخشري فيه، ويعرفه ما هو ديوان الحماسة، ويدله على (زمخشرية أستاذ الدنيا) جار الله الزمخشري، ثم يكلمه في الحضرة والحضرات، ثم (يشطح) إلى تكذيب ما روي عن بعض الأولياء، ثم قفز إلى ما أملى (ح) في الأهرام...[3] بختم هذا النشيد القومي؛ فيقول: يا رب، كل واحد صار يملي!!

على أن حضرته ما زاد في تبيينه لكلمة العشرين حضرة؛ أي أعضاء المجمع اللغوي على أنْ صنع مثل ما صنعه عجل بن لحيم بن صعب بن علي بن بكر

---

(1) البلاغ، مساء الثلاثاء 21 شوال سنة 1352 — 6 فبراير سنة 1934.

(2) 2 البيت لمحمد بن بشير الخارجي، انظر: شرح ديوان الحماسة لأبي تمام؛ أبو زكريا يحيى بن علي التبريزي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٠م، ج٢، ص٧٢٠.

(3) مطموس في الأصل بمقدار كلمة

بن وائل (وكدنا والله نتعلم الحشو والفضول) فزعموا أنه قيل له: ما سميتَ فرَسَك؟ فقام إلى القائل ففقأ عينه، وقال: سميته الأعور.

نحـن نشـير في كلامنا في انتقـاد (العشرين حضرة) إلـى مغامز دقيقة لا نستطيـع أن نكشفهـا، ولذا طالبناهـم أن يأتونا بالتاريـخ الاجتماعي للفعل (حظـي) إن كانوا علماء لغة وفلاسفة لغـة، وسألناهم عن الكلام الفصيح الـذي جاء فيه مثل قولهم (حظي بتشريف)، وما أجهل ما قاله الأساس ولا بيـت الحماسة، ولو سأل (أزهري) حضـرة الأستاذ صاحب البلاغ؛ لبيَّن له أني كتبـتُ هذا البيت في كلمتي الثانية في ردي على الأستاذ الشيخ والي، ثم ضربنـا عليه وأسقطناه من الـكلام؛ إذ ليس من عملنا نحن أن نأتي بالأدلة الفاسدة ثم نزيفها ونبين فسادها.

البيت لمحمد بن بشير الخارجي وهو من شواهد النحاة المشهورة ولا مطعن عليـه، ولكـن الدليل فيه أعور؛ فـإن الشاعر لا يريد الحُظـوة (بالضم) ولا الحِظـوة (بالكسـر) ولا الحظـة، أوزان عـدة (كدنـا والله نتعلـم الفضول والحشو!!!)؛ بل أراد معنى آخر؛ ففاق باللفظ ولم يوفق إلى غرضه؛ فاضطر أن يضمِّـن (حظي) معنى (ظفر) ونَقَلَ الفعـل عن أصله وحوَّله عن دلالته؛ فلم تبقَ الكلمة حظي؛ بل هي (ظفر)، وسقطت حجة (أزهري).

وكنـا ننتظر أن يجيء هذا الشاهـد في ردٍّ لأعضاء المجمع فنضرب الضربة التـي خابت الآن باستهـداف (أزهري) لها، ونقول لهم: وهل يكون ظَفَرُ ذي الصـبر بحاجته بعد الكدِّ والمغالبـة ومعاناة البؤس وارتقاب الفرج هل يكون هـذا قياساً يُقاسُ عليه في الـذوق أو في الأدب ظفر المجتمع بتشريف جلالة الملك؟! وما الذي عاناه المجتمع، وما الذي كابده فيه مما يهيئ صورة المعركة لمعنى الظفر حتى تقع الكلمة في موقعها فتكون حظي بمعنى ظفر؟!

وقـد نصَّ النحاة في شرح البيت على ما ذكرناه مـن معنى التضمين، ويدل عليـه أيضاً أن بشَّار بن برد لمَّا أراد هـذا المعنى وأطلق العبارة لم يستعمل لا حظي ولا (بظي)!! بل قال:

مـن راقـب الـنـاس لم يظفر بحاجته

وفــــاز بـالطيبات الـفـاتك اللهج

أمَّــا قول صاحب (أساس البلاغة) فلا دليل فيه لأعضاء المجمع؛ بل هو من دليلنا نحن؛ لأننا نُنْكِرُ الاستعمال ونستهجنه مقيَّداً باعتبارين؛ الأول أنه من أعضاء مجمع اللغة، والثاني أنه في كلمتهم المرفوعة إلى جلالة الملك.

وبعـد هـذا نقول (للأزهـري) إن سجعـة الزمخشري التي استـدل بها هي كأثـر سجـع الرجـل في كتابه من الكلام الغـثّ البارد الـذي لا وزن له، وقد سمَّــى الرجل كتابه أساس البلاغة ولم يسمه أساس اللغة، وهل نتكلم الآن في الزمخشـري، هـل نترك هذه المقالة تفتح فمها لتبتلـع صفحة من البلاغ (كدنا والله نتعلم الفضول والحشو!!!).



البلاغ

الاشتراكات

الإعلانات

الطيارات المصرية

بين القاهرة والاقطار الشقيقة

حظي بالشيء

المجمع اللغوي

لائحته ... وواجبه

فوضى الألقاب

صورة للصفحة الأولى من صحيفة البلاغ ويظهر فيها مقال الرافعي (حظي بالشيء)

كلمة في طيارة إلى أعضاء المجمع اللغوي[1]

مما أخذنا به حضرات أعضاء المجمع اللغوي في أول غلطهم؛ قولهم في برقيتهم: (المجتمعين في عهد حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم)؛ فقلنا: (يرفعون الخطاب إلى جلالة مولانا الملك، ومع ذلك يُخبرون أنهم اجتمعوا في عهد جلالة الملك)، ولم نزد على ذلك شيئاً وتركنا لهم أن ينفذوا إلى ما وراءه كما يفعل دعاة السياسة في بعض الكلمات التي تحتاج إلى غطاء.

وجاء فضيلة الأستاذ الشيخ حسين والي عضو المجمع، وهو الذي أنشأ ونمّق وطرّز ووشّى عبارة تلك البرقية فيما علمنا، جاء فضيلته يرد علينا فلم يقل شيئاً كأننا في هذا لم نقل شيئاً.

ثم انتهى إلينا أنّ أكثر حضرات الأعضاء يعجبون كيف يخطرُ (لأديب نونو) فضلا عن (أديب صغير) أن يرى في هذا مغمزاً أو يعدُّه نقداً، ثم يهاونون أنفسهم ويساهلونها في الاطمئنان؛ فيقولون: كيف يُرَدُّ على مثل هذا وقد،

(1) 3 البلاغ، مساء الأربعاء 22 شوال سنة 1352 — 7 فبراير سنة 1934.

وقد، وقد؛ أي وقد سقط هذه السقطة، وقد... إلخ.

فإن صحَّ ما بلغنا فهو مما نأسف له؛ إذ يدلُّ على أن القوم مأخوذون بالاستعمال العامي لكلمة (العهد)، وليس لهم من البصر باللغة إلا ما يحتاج إلى نظَّارة فلكيَّة ينظرون بها الكلمات.

فالأديب الصغير يرجو من حضراتهم أن يرجعوا إلى كلِّ دواوين اللغة -وبخاصة أساس البلاغة- ثمَّ يستقصوا معاني الكلمة، يستقصوا، ويدقِّقُوا في فلسفة استعمالها، يدقِّقُوا ثم يفسِّروا لنا ماذا أرادوا بقولهم: ذاك تفسير يطابق نص اللغة. إنهم سيعرفون حينئذ قول القائل: (هيهات طار غرابها بجرادتك).

نسبة شعر[1]

قرأت في مقال إبراهيم بك مرزوق المنشور في العدد السابع والخمسين من الرسالة بقلم الأستاذ محمود خيرت فيما روى عن المرحوم المنفلوطي هذا البيت:

مَضَى بها ما مَضَى من عقلِ شاربِها

وفي الزجاجةِ باقٍ يطلبُ الباقي

أورده في قصة حكاها عن رجل قال إنه كان رئيساً (باشكاتب) لكَتَبَة محكمة إسكندرية الشرعية؛ ثم قال الراوي: (ولا أدري إذا كان هذا البيت من مقوله أو قديم).

والبيت قديم من قصيدة لعبدالله بن العباس الربيعي يقول فيها:

ومستطيلٍ على الصَّهْباءِ باكَرَها

في فتيةٍ باصطباح الرَّاحِ حُذّاقٍ

يمضي بها ما مضى من عقلِ شاربِها

وفي الزجاجةِ باقٍ يطلبُ الباقي

فكل شيء رآه خالُهُ قَدَحاً

وكلُّ شخصٍ رآهُ ظنَّه السَّاقي[2]

والذي نسبتْ إليه القصة لم يكن رئيساً للكَتَبَة؛ ولكنه كان أحدهم، واسمه الشيخ أحمد، وكان مليح النادرة معروفاً بالنكتة، سمعتُ عنه مضحكاتٍ

(1) الرسالة، السنة الثانية، العدد 58، 3 جمادى الأولى 1353هـ / 13 أغسطس 1934م، ص 1339 – 1340.

(2) الأغاني لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني، تحقيق إحسان عباس وإبراهيم السعافين وبكر عبّاس، بيروت: دار صادر، ط٣، ٢٠٠٨م، ج١٩، ص١٦٧.

كثيرةً؛ منها أنه كان ذات يوم نازلاً من المحكمة؛ فالتقى برجلٍ صاعدٍ يطلب مقابلـة الرئيـس، فسأله الرجل: يا شيـخ أحمد هل الرئيس فـوق؟ قال: هو فوق؛ ولكنَّ أعضاءه نزلت.

ومنهـا أن عمِّي المرحوم الأستـاذ الشيخ عبدالرحمن الرافعـي، وكان نقيباً لمحكمـة إسكندرية، سُئـل في ميراث يُراد معرفة مـا يُفرض منه لكل وارث، وكان الشيـخ أحمد هذا يكتب عنه الفتاوي، فكلفه المفتي أن يعمل ما يُسمونه (شبّـاكا) وهـو رسمٌ ذو بيوت يُذكـر فيه الورثة أصـولاً وفروعاً وفريضة كل منهم، ولما كان الغد سأله: يا شيخ أحمد هل عملت (الشباك)؟ فقال: يا سي الشيخ؛ ما ليش (طاقة).

أما النـادرة التي رواها الأستاذ خيرت وحكاها له المنفلوطي فليست بصحيحة على ذلك الوجه ألبتة، إذْ لا يُعقل أن عالماً فاضلاً رئيساً لمحكمة شرعية يقول لرجل: أنتَ طالق.

والذي روُي لي أن أحد الموظفين مع الشيخ أحمد قاطعه على طريقته فطلَّقه ثلاثاً، وجاء الباقون يسعـون في الصلح بينهما، وأخذوا المعتدِي إلى المعتدَى عليـه ترضيةً لـه، فلما دخلوا (بالمطلِّـق) على الشيخ أحمـد؛ فعل بجبته ما تفعل المطلقة بملاءتها إذا استترت ممن لا تحلُّ له؛ فضحك الجميع وشاعت النـادرة، ولعـل الشيخ أحمد نظر فيها إلى نادرة قريبـة منها رواها صاحب الأغاني في كتابه. والله أعلم.

ثبتٌ بأهم الصحف والمجلات[1] التي كتب لها الرافعي[2]

1 – أبولو (1932 – 1934م): أحمد زكي أبو شادي.

2 – الإحسان: الجمعية الخيرية الإسلامية بحلب.

3 – الأخبار (1920م): أمين الرافعي، القاهرة.

4 – الإشاعة (1932): عبدالرحمن العيسوي، القاهرة.

5 – الأهرام (1879م): سليم وبشارة تقلا، القاهرة.

6 – البلاغ (1923م): عبدالقادر حمزة، القاهرة.

7 – البلاغ الأسبوعي (1926م): عبدالقادر حمزة، القاهرة.

8 – البيان (1897م): إبراهيم اليازجي وبشارة زلزل، القاهرة.

9 – البيان (1910م): عبدالرحمن البرقوقي، القاهرة.

10 – الثريا (1896م): إدوارد جدي.

11 – الجامعة (1906م): فرح أنطون، القاهرة.

12 – الجريدة (1907م): أحمد لطفي السيد، القاهرة.

13 – الجهاد (1931): محمد توفيق دياب، القاهرة.

14 – الجوائب (1932): حسن السندوبي، القاهرة.

15 – الجوائب المصرية (1903م): خليل مطران، القاهرة.

---

(1) اعتمدنا في إعداد هذه القائمة على ما كتبه الأستاذ العريان في كتابه (حياة الرافعي)، والدكتور مصطفى البدري في كتابه (الإمام مصطفى صادق الرافعي)، فضلاً عما توصلنا إليه بالتنقيب في دار الكتب المصرية العامرة ومكتبة الإسكندرية وغيرهما عند جمعنا الأعمال المجهولة للرافعي التي نأمل أن ترى النور قريباً.

(2) رأينا ترتيب الصحف والمجلات أبجدياً مع بيان اسم صاحب الامتياز ما أمكن تمييزاً لها عن غيرها.

16 – الحال (1918م): حسن السيد علي الخولي، القاهرة.

17 – الدنيا المصورة (1929م): دار الهلال، القاهرة.

18 – الرسالة (1933م): أحمد حسن الزيات، القاهرة.

19 – الزهراء (1924م): محب الدين الخطيب، القاهرة.

20 – الزهور (1910م): أَنْطُون الْجُمَيِّل وأمين تقي الدين، القاهرة.

21 – سركيس (1905 – 1926م): سليم سركيس.

22 – السياسة (1922م): محمد حسين هيكل، القاهرة.

23 – السياسة الأسبوعية (1926م): محمد حسين، القاهرة.

24 – الصاعقة (1897م): أحمد فؤاد وإبراهيم حلمي، القاهرة.

25 – الضياء (1898م): إبراهيم اليازجي، القاهرة.

26 – العصور (1927م): إسماعيل مظهر، القاهرة.

27 – فتاة الشرق (1906م): لبيبة هاشم، القاهرة.

28 – الفتح (1926م): محب الدين الخطيب، القاهرة.

29 – الكفاح (1930): كمال الدين الطائي، بغداد.

30 – كل شيء والدنيا: (1925): دار الهلال، القاهرة.

31 – كوكب الشرق (1924م): أحمد حافظ عوض.

32 – لسان الحال (1877م): خليل سركيس.

33 – اللطائف (1886 – 1896م): شاهين مكاريوس، القاهرة.

34 – اللطائف المصورة (1915م): إسكندر مكاريوس، القاهرة.

35 - المجلة الجديدة (1930م): سلامة موسى، القاهرة.

36 - المساء (1930): أحمد محرم، القاهرة.

37 - المضمار الرياضي (1928): أحمد صادق، القاهرة.

38 - المعرفة (1931م – 1934م): عبدالعزيز الإسلامبولي، القاهرة.

39 - المقتبس (1906 - 1908م): محمد كرد علي.

40 - المقتطف (1876 – 1952م): يعقوب صروف وفارس نمر، القاهرة.

41 - المقطم (1889م): يعقوب صروف وفارس نمر وشاهين مكاريوس.

42 - المكشوف: فؤاد حبيش سنة 1935م.

43 - المنار (1898م): محمد رشيد رضا، القاهرة.

44 - المنبر (1918): محمد الههياوي، القاهرة.

45 - منبر الشرق (1921 – 1956م): علي الغاياتي، القاهرة.

46 - منيرفا (1923م): ماري يني، بيروت.

47 - المؤيد (1889م): علي يوسف، القاهرة.

48 - الهداية الإسلامية (1928م): محمد الخضر حسين، القاهرة.

49 - الهلال (1892م): جورجي زيدان، القاهرة.

***

المصادر والمراجع

1 - الأعـلام الشرقيـة في المائة الرابعة عشرة الهجرية: زكي محمـد مجاهد، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية 1994م.

2 - الأعـلام: خـير الديـن الزركلي، دار العلـم للملايين– بـيروت، الطبعة الخامسـة عشرة- مايو 2002م.

-3 الأغـاني: أبو الفرج علي بن الحسـين الأصفهاني، تحقيق إحسان عباس وإبراهيم السعافين وبكر عبّاس، بيروت: دار صادر، ط٣، ٢٠٠٨م.

4 - أمـالي ابـن الشجري: ضياء الديـن أبو السعادات هبـة الله بن علي بن حمـزة، تحقيق الدكتور محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1413 هـ = 1991م.

5 - الإمـام مصطفى صادق الرافعي: الدكتور مصطفى نعمان البدري، دار البصـري- بغداد، 1387 هـ = 1968 م.

6 - جمهـرة مقالات الأستـاذ محمود شاكر، جمعها وقرأها وقدَّم لهـا الدكتور عادل سليمان، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثالثة 2013.

7 - حديث الأربعاء: الدكتور طه حسين، دار المعارف - مصر، الطبعة الثانية عشرة.

8 - الحـوار الأدبي حـول الشعر: الدكتور محمد أبـو الأنوار، مكتبة الآداب – مصـر، الطبعة الأولى 1428 هـ - 2007م.

9 - حيـاة الرافعـي: محمـد سعيد العريـان، الهيئة العامة لقصـور الثقافة - مصـر، سلسلة ذاكرة الكتابة، العدد (45)، الطبعة الثانية 2004.

10 - ديـوان ابـن الرومي، تحقيق الدكتور حسين نصار، مطبعة دار الكتب القومية بالقاهرة، الطبعة الثالثة 1424هـ2003-م.

11 - ديوان ابن المعتز، دار صادر، بيروت.

12 - ديوان ابن دراج القسطلي، حققه وعلق عليه وقدمه الدكتور محمود علي مكي، منشورات المكتب الإسلامي بدمشق، طبع على نفقة الشيخ علي بن عبدالله آل ثاني، الطبعة الأولى 1381 هـ = 1961م.

13 - ديـوان ابـن نباتـة السعدي، دراسـة وتحقيـق عبدالأمير مهـدي الطائي، بغـداد، دار الحرية للطباعة، 1977م.

14 - ديـوان البـارودي، حقَّقـه وضبطه وشرحه علي الجـارم ومحمد شفيق معـروف، دار العودة –

بيروت، 1998م.

15 - ديـوان زهـير بن أبي سلمى، شرح وتقديم على حسن فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 1408 هـ = 1988م.

16 - ديـوان عبدالباقـي الفاروقـي الموصلي المعروف بـ (الترياق الفاروقي من منشـآت الفاروقي) ، مطبعة الطوخي، مصر، ط 1287هـ.

17 - ديوان مجنون ليلى، جمع وتحقيق وشرح عبدالستار فراج، ط مكتبة مصر، القاهرة.

18 - رسائـل الأحـزان، والسحاب الأحمر، وأوراق الـورد: تقديم عبدالقادر القـط، الشركة العالمية للنشر (لونجمان)- مصر، 1994م.

19 - رسائل الرافعي: محمود أبورية، الدار العمرية، دون تاريخ.

20 - ساعات بين الكتب: عباس محمود العقاد، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2014م.

21 - شرح ديوان الحماسة لأبي تمام: أبوزكريا يحيى بن علي التبريزي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٠م.

22 - الشوقيات، تقديم محمد حسين هيكل، مكتبة مصر، القاهرة.

23 - صحيفة البلاغ الأسبوعي.

24 - صحيفة البلاغ.

25 - مجلة أبولُّو.

26 - مجلة الثريّا.

27 - مجلة الحديث.

28 - مجلة الرسالة.

29 - مجلة الزهور.

30 - مجلة المعرفة

31 - مجلة المقتطف.

32 - مجلة الهلال.

33 - مجلة الوعي الإسلامي.

34 - مسرحيـة حسام الدين الأندلسـي: مصطفى صادق الرافعي، قدم لها وعلق عليها وليد كساب، دار البشير للثقافة والعلوم، القاهرة، 2015م.

35 – مسرحية مجنون ليلى: أحمد شوقي، مطبعة مصر، 1911م.

36 – مصطفى صادق الرافعي فارس الكلمة تحت راية القرآن: الدكتور محمد رجب البيومي، دار القلم– دمشق، سلسلة أعلام المسلمين، الطبعة الأولى 1417 هـ = 1997م.

37 – مصطفى صادق الرافعي: الدكتور كمال نشأت، سلسلة أعلام العرب (81)، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ودار الكاتب العربي للطباعة والنشر– القاهرة، نوفمبر 1968م.

38 – معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب): ياقوت الحموي، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1414 هـ = 1993م.

39 – معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين: مجموعة من الباحثين، الكويت 2008م.

40 – معجم المطبوعات: يوسف سركيس، مطبعة سركيس بمصر 1346هـ – 1928م.

41 – معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة. معجم المؤلفين، مكتبة المثنى، دار إحياء التراث العربي– بيروت.

42 – من وحي القلم، تقديم رجاء النقاش، مهرجان القراءة للجميع، مكتبة الأسرة 1995.

43 – وحي القلم، مكتبة فياض، مصر، الطبعة الأولى 1434هـ – 2013م.

44 – يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر: أبو منصور الثعالبي، تحقيق الدكتور مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1403هـ = 1983م.

***

قائمة كتاب المجلة العربية

رقم الكتاب	اسم الكتاب	المؤلف	التاريخ	رقم العدد
1	الإسلام والغرب حوار.. لا صراع	د. سعيد عطية أبوعالي	محرم 1418هـ/ مايو 1997م	240
2	إساءة معاملة الأطفال تلمس الأسباب والظروف	د. عبدالعزيز بن عبدالله الدخيل	صفر 1418هـ/يونية1997م	241
3	أضرار الجوال بين الحقيقة والخيال	م. عبدالله بن حمد الكثيري	ربيع الأول 1418هـ/يوليو1997م	242
4	الأسلحة الكيميائية والجرثومية خطر في وجه الحضارة	د. عبدالعزيز بن علي الخضيري	ربيع الآخر 1418هـ/أغسطس1997م	243
5	من يشتري الضحك والفرح ؟!	عبد الله الجفري	جمادى الأولى 1418هـ/سبتمبر1997م	244
6	الملك عبدالعزيز ومراسلاته	د. عبدالعزيز بن عبدالله الخويطر	جمادى الآخرة 1418هـ/اكتوبر1997م	245
7	دمج المعاقين مع الأطفال الأسوياء	د. فوزية أخضر	رجب 1418هـ / نوفمبر 1997م	246
8	المؤتمر العام السادس والمجلس التنفيذي الثامن عشر للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة	عبد الرحمن محمد	شعبان 1418هـ/ديسمبر1997م	247
9	أيام العار	جون سوين/ ترجمها منصور الخريجي	رمضان 1418هـ/يناير 1998م	248
10	الإنترنت تقنيات وخدمات	د. عبدالقادر بن عبدالله الفنتوخ	شوال1418هـ/فبراير1998م	249
11	الأكل الوسطي وحكاية هرمين	د. عدنان سالم باجابر	ذوالقعدة 1418هـ/ مارس1998م	250
12	الأمة الوسط والمنهاج النبوي في الدعوة إلى الله	د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي	ذو الحجة1418هـ/ ابريل1998م	251
13	الماء ثروة الحاضر.. وأمل المستقبل	د. أحمد عبدالقادر المهندس	محرم 1419هـ/يونيو1998م	252
14	المتقاعدون ووقت الفراغ	عبد العزيز بن علي الغريب	صفر1419هـ/يونيو1998م	253
15	فاعلية الأغذية الوارد ذكرها في القران الكريم	د. رافده الحريري	ربيع الأول 1419هـ/يوليو1998م	254
16	القاعدة والاستثناء في الإعلام والسياسة	د.فؤاد بن عبدالسلام الفارسي	ربيع الآخر 1419هـ/أغسطس1998م	255
17	الكتابة للأطفال لماذا ... ماذا نكتب وكيف ؟	محمد سعيد المولوي	جمادى الأولى 1419هـ/ سبتمبر 1998م	256
18	مسؤولية الإعلام في تأكيد الهوية الثقافية	د. ساعد العرابي الحارثي	جمادى الآخرة 1419هـ/اكتوبر1998م	257
19	الأيام الثقافية للجامعات السعودية في رحاب الجامعات المغربية	المجلة العربية	رجب 1419هـ/نوفمبر1998م	258
20	الفياجرا شاغلة العالم!	جلال محمد حمام	شعبان1419هـ/ديسمبر1998م	259

رقم الكتاب	اسم الكتاب	المؤلف	التاريخ	رقم العدد
21	العمل الاجتماعي التطوعي في المملكة العربية السعودية	عبد الله العلي النعيم	رمضان1419هـ/يناير 1999م	260
22	قراءة في فكر الملك عبدالعزيز	بدر بن أحمد كريم	شوال 1419هـ/فبراير1999م	261
23	الجودة ومواصفة آيزو 9000	د. إبراهيم بن علي الخضير	ذو القعدة1419هـ/ مارس1999م	262
24	أرقامنا العربية الأصيلة	د. إبراهيم احمد مسلم الحارثي	ذوالحجة 1419هـ/ابريل1999م	263
25	القلق (مرض العصر) كيف يعالجه القران ؟	د. زهير أحمد السباعي	محرم 1420هـ/مايو1999م	264
26	تعليم الفتاة بين التفرد والمحاكاة	د. علي بن مرشد بن محمد المرشد	صفر1420هـ/يونيو1999م	265
27	الشيخ ابن باز (يبكيك محراب يئن ومنبر)	المجلة العربية	ربيع الأول1420هـ/يوليو1999م	266
28	الإمارة وتنمية السياحة	الأمير خالد الفيصل	ربيع الآخر 1420هـ/ أغسطس999م	267
29	في تأهيل الأدب الإسلامي نحو رواية إسلامية	د. حلمي محمد القاعود	جمادى الأولى1420هـ/سبتمبر1999م	268
30	الأدب المقارن في ضوء الرؤية العربية والإسلامية	محمود رداوي	جمادى الآخرة1420هـ/اكتوبر1999م	269
31	منظمة التجارة العالمية واستحقاقات العضوية	أ. أسامة بن جعفر فقيه	رجب 1420هـ/نوفمبر 1999م	270
32	مجلس التعاون الخليجي رؤية متابع	أحمد محمد سالم	شعبان1420هـ/ديسمبر1999م	271
33	الإسلام والغرب والدور السعودي في إقامة حوار بناء بينهما	د. عبدالعزيز بن إبراهيم السويل	رمضان1420هـ/يناير2000م	272
34	الترويح دوافعه- آثاره – ضوابطه	عبد الله بن ناصر السدحان	شوال1420هـ/فبراير 2000م	273
35	أمراض القلب والوقاية منها	أ.د. منصور محمد النزهة	ذوالقعدة1420هـ/فبراير2000م	274
36	العالم الإسلامي	محمد بن ناصر العبودي	ذو الحجة1420هـ/ابريل2000م	275
37	ضياع الهوية في الفضائيات العربية	د. عائض الردادي	محرم1421هـ/مايو2000م	276
38	البلاستيك وصحة الإنسان	د. محيي الدين عمر لبنية	صفر1421هـ/مايو2000م	277
39	منهج التربية الإسلامية في ملء أوقات الفراغ	د. عثمان سيد أحمد خليل	ربيع الأول1421هـ/يونيو2000م	278
40	المرأة كيف عاملها الإسلام	الشيخ/حسن بن عبدالله آل الشيخ	ربيع الآخر1421هـ/يوليو2000م	279
41	الفكاهة في أدب الشيخ علي الطنطاوي	أحمد علي آل مريع	جمادى الأولى1421هـ/أغسطس2000م	280
42	مشكلة المياه وآفاق مستقبلها في المملكة العربية السعودية	أ.د. خالد بن عبدالرحمن الحمودي	جمادى الآخرة1421هـ/سبتمبر2000م	281

رقم الكتاب	اسم الكتاب	المؤلف	التاريخ	رقم العدد
43	حقوق الإنسان في الإسلام	الشيخ/صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ	رجب1421هـ/اكتوبر2000م	282
44	الجاسر علاّمة وعلامة	د. عبدالله مناع	شعبان1421هـ/نوفمبر2000م	283
45	المردود الإيجابي للتفاعل التعليمي بين المعلم وطلابه	عبدالله بن مراد العطرجي	رمضان1421هـ/ديسمبر2000م	284
46	تجربة اليونسكو: دروس الفشل	د. غازي القصيبي	شوال1421هـ/يناير2001م	285
47	الفصيح مما أضاعه المشارقة وحفظه المغاربة	حماد بن حامد السالمي	ذوالقعدة1421هـ/فبراير2001م	286
48	صفحات من حياة الفقيد العلم الزاهد الشيخ محمد بن عثيمين	أ.د.عبدالله بن محمد بن أحمد الطيار	ذوالحجة1421هـ/مارس2001م	287
49	الصناعة السعودية عام 1430هـ(2010م) رؤية مستقبلية	م. عبدالله بن يحيى المعلمي	محرم1422هـ/أبريل2001م	288
50	مشكلة العنوسة الأسباب والعلاج	رفعت محمد طاحون	صفر1422هـ/مايو2001م	289
51	الطب الشعبي حقائق وخرافات	د. حسام الدين أبو السعود	ربيع الأول1422هـ/يونيو2001م	290
52	العربية لغة الوحي .. والوحدة	محمد عبدالشافي القوصي	ربيع الآخر1422هـ/يوليو2001م	291
53	حقيقة النوم وقفات وتأملات	يوسف محمد أبو عود	جمادى الأولى1422هـ/أغسطس2001م	292
54	دور المدرسة في تربية النشء وبناء المجتمع	د. علي بن مرشد المرشد	جمادى الآخرة1422هـ/سبتمبر2001م	293
55	مشكلات طفلك الصحية في عامه الأول وحلولها	د. محمد مصطفى السمري	رجب1422هـ/أكتوبر2001م	294
56	مفهوم العمل في الإسلام	حسين بن عبدالله بانبيله	شعبان1422هـ/نوفمبر2001م	295
57	الإسلام وأزمة الإنسان المعاصر	د. محمد عبدالمنعم خفاجي	رمضان1422هـ/ديسمبر2001م	296
58	النظم العدلية الثلاثة (وزارة العدل)	أخرجه : عبدالقادر باقي زاده	شوال1422هـ/يناير2002م	297
59	الأديب عبدالكريم الجهيمان عطاء لا ينضب	محمد بن عبدالرزاق القشعمي	ذوالقعدة1422هـ/فبراير2002م	298
60	الشخصية الإسلامية سمات وتحديات	طه محمد كسبه	ذوالحجة1422هـ/مارس2002م	299
61	الشعر والأخلاق في تراث العرب النقدي	د. جعفر حسن الشكرجي	محرم1423هـ/أبريل2002م	300
62	الشورى في النظام الإسلامي ومقارنتها بالنظم الأخرى	الشيخ محمد بن إبراهيم بن جبير	صفر1423هـ/يونيو2002م	301
63	من أجل تصحيح صورة الإسلام في الغرب	د. حسن عزوزي	ربيع الأول1423هـ/يونيو2002م	302

رقم الكتاب	اسم الكتاب	المؤلف	التاريخ	رقم العدد
64	مقاييس الجمال في تجربة العميان الشعرية	د. عبدالله بن أحمد الفيفي	ربيع الآخر1423هـ/يوليو2002م	303
65	تعليم اللغة الانجليزية في المملكة العربية السعودية	جاسم بن أحمد الجاسم	جمادى الأولى1423هـ/أغسطس2002م	304
66	اصطخاب المفردات كلام يدخل في التخاطب لا الخطب !!	أحمد بن عبدالرحمن العرفج	جمادى الآخرة1423هـ/سبتمبر 2002م	305
67	الطب النبوي بين الإبداع الصحي والطب الوقائي	حسين محي الدين سباهي	رجب 1423هـ/أكتوبر2002م	306
68	العلاقة بين الرضا الوظيفي والأداء المهني للصحفيين	د. عبدالعزيز بن علي المقوشي	شعبان 1423هـ/نوفمبر2002م	307
69	من وسائل وأساليب التربية النبوية	د. صالح بن علي أبوعراد	رمضان1423هـ/نوفمبر 2002م	308
70	من حلل الشعراء وحيلهم الفنية	حجاب بن يحيى الحازمي	شوال1423هـ/يناير2003م	309
71	الحب بين الأدب والطب	د. غالب خلايلي	ذوالقعدة1423هـ/فبراير2003م	310
72	شبهات وأباطيل حول الطلاق والرد عليها	رفعت محمد مرسي طاحون	ذوالحجة1423هـ/فبراير2003م	311
73	وقفات حول العولمة وتهيئة الموارد البشرية	أ.د.علي بن إبراهيم الحمد النملة	محرم1424هـ/مارس2003م	312
74	الأدب العربي في المملكة في عهد خادم الحرمين الشريفين	د. حسن بن فهد الهويمل	صفر1424هـ/ابريل2003م	313
75	الغذاء ودوره في تنمية الذكاء	د. نبيل سليم علي	ربيع الأول1424هـ/مايو2003م	314
76	الأديب محمد بن أحمد العقيلي لمحات من سيرته	مجاهد باعشن	ربيع الآخر1424هـ/يونيو2003م	315
77	جذور الحملة الإعلامية على الإسلام والسعودية وصراع الهويات	د. فهد العرابي الحارثي	جمادى الأولى1424هـ/يوليو2003م	316
78	أفكار في شعر الإمام الشافعي	عبدالله الجعيثن	جمادى الآخرة1424هـ/ أغسطس2003م	317
79	أهم أحداث المملكة العربية السعودية منذ تأسيسها عام 1319هـ حتى 1424هـ	مساعد بن عبدالله الجنوبي	رجب1424هـ/سبتمبر2003م	318
80	أبو تراب الظاهري العالم الموسوعة أو سيبويه العصر	علوي طه الصافي	شعبان1424هـ/أكتوبر203م	319
81	وقفات مع الأستاذ عبدالله القرعاوي في ذكرياته	عبدالعزيز بن عبدالله السالم	رمضان1424هـ/نوفمبر2003م	320
82	المنهج العلمي في القران الكريم	محمد فيض الله الغامدي	شوال1424هـ/ديسمبر2003م	321
83	هل ينقرض الدبلوماسيون في حقبة العولمة؟	د. غازي بن عبدالرحمن القصيبي	ذوالقعدة1424هـ/يناير2004م	322
84	الحوار بين الثقافات والحضارات ضرورة	إبراهيم نويري	ذوالحجة1424هـ/يناير2004م	323

رقم الكتاب	اسم الكتاب	المؤلف	التاريخ	رقم العدد
85	المرأة في الفتوحات الإسلامية	عبدالله بن ناصر الحديب	محرم1425هـ/فبراير2004م	324
86	الأستاذ شيخ النقاد عبدالله عبدالجبار وماذا بعد عنه ؟!	عبدالله بن عبدالرحمن الجفري	صفر1425هـ/أبريل2004م	325
87	حسن صيرفي قراءة في جغرافية إنسان	محمد الدبيسي	ربيع الأول1425هـ/مايو2004م	326
88	العبقرية وأسسها الأربعة	فهد بن عامر الأحمدي	ربيع الآخر1425هـ/يونيو2004م	327
89	الإدارة الإلكترونية وتطبيقاتها أنموذج إداري جديد	د. محمد حسن مفتي	جمادى الأولى1425هـ/يوليو2004م	328
90	مواجهة الفقر المشكلة وجوانب المعالجة	أ.د. علي بن إبراهيم النملة	جمادى الآخرة1425هـ/ أغسطس2004م	329
91	مكامن الخلل في العملية التربوية	عبيد بن عبدالله السويهري	رجب1425هـ/سبتمبر2004م	330
92	التجربة المعاصرة للتنظيم الإداري بالمملكة العربية السعودية	حسن بن محمد الشيخ	شعبان1425هـ/أكتوبر2004م	331
93	الوسائل المفيدة للحياة السعيدة	الشيخ عبدالرحمن ناصر السعدي	رمضان1425هـ/نوفمبر2004م	332
94	الإعجاز الطبي في القران والسنة والجديد في علم الطب	د. حسان شمسي باشا	شوال1425هـ/ديسمبر2004م	333
95	أهمية حماية الهواء وطبقة الأوزون من أخطار التلوث	د. محمود درويش	ذوالقعدة1425هـ/يناير2005م	334
96	العمل برؤية إيمانية	علي مدني الخطيب	ذوالحجة1425هـ/فبراير2005م	335
97	منهج الجدل وآداب الحوار في الفكر الإسلامي	أ.د.بركات محمد مراد	محرم1426هـ/فبراير2005م	336
98	الأسبرين حكاية بلا نهاية	د. محيى الدين عمر لبنيه	صفر1426هـ/مارس2005م	337
99	أحمد السباعي رائد الأدب والصحافة المكية	محمد عبدالرزاق القشعمي	ربيع الأول1426هـ/أبريل2005م	338
100	إطلالة على المشهد الثقافي في المملكة العربية السعودية	حسين محمد بافقيه	ربيع آخر1426هـ/مايو2005م	339
101	ذاكرة العراق التاريخية والحضارية	علوي طه الصافي	جمادى الأولى1426هـ/يونيو2005م	340
102	أم القرى خصوصية المكان والعمران	د.م. يحيى حسن وزيري	جمادى الآخرة1426هـ/يوليو2005م	341
103	الحفاظ على البيئة من منظور إسلامي	عبدالعزيز بن سعد الدغيثر	رجب1426هـ/أغسطس2005م	342
104	الدور الأمني للمؤسسات التربوية والثقافية	أ. حجاب بن يحيى الحازمي	شعبان1426هـ/سبتمبر2005م	343
105	الضمانات الشرعية لحماية الأسرة في الإسلام	علي مدني رضوان الخطيب	رمضان1426هـ/أكتوبر2005م	344

رقم الكتاب	اسم الكتاب	المؤلف	التاريخ	رقم العدد
106	الأدب الوجداني إبداع وفرسان	فوزي خياط	شوال1426هـ/نوفمبر2005م	345
107	الإدارة السوية وحمايتها من الضغوط الحياتية	أ.د. نبيل سليم علي	ذوالقعدة1426هـ/ديسمبر2005م	346
108	الحج :أحكام وأسرار قراءة تأملية في شعائر الحج ومناسكه	سالم بن عبدالله الشهري	ذوالحجة1426هـ/يناير2006م	347
109	جمع الجواهر في الملح والنوادر	د.عبدالعزيز بن عبدالله الخويطر	محرم1427هـ/فبراير2006م	348
110	مكة المكرمة أهمية الدور والمكان	د.عمر بن يحيى محمد	صفر1427هـ/مارس2006م	349
111	الإبداع والتحديث في فكر سماحة الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد 1329/1402هـ	د. صالح بن عبدالله بن حميد	ربيع الأول1427هـ/أبريل2006م	350
112	الزمان يزور المكان	د.غازي بن عبدالرحمن القصيبي	ربيع الآخر1427هـ/مايو2006م	351
113	رثاء الزوجة في الشعر العربي الحديث	حسني سيد لبيب	جمادى الأولى1427هـ/يونيو2006م	352
114	مشاعر أب في رسائل حرّى	د. إبراهيم بن مبارك الجوير	جمادى الآخرة1427هـ/يوليو2006م	353
115	رؤية في الفساد والجريمة	سليمان بن محمد الجريش	رجب1427هـ/أغسطس2006م	354
116	الحكومة الإلكترونية دراسة للتجربة التقنية المعلوماتية في المملكة العربية السعودية	حسن بن محمد الشيخ	شعبان1427هـ/سبتمبر2006م	355
117	آفاق المناجاة في شعر الدكتور سعد بن عطيه الغامدي	علي بن محمد العمير	رمضان1427هـ/أكتوبر2006م	356
118	الفقه الإسلامي أهميته والعناية بمصادره وأهله	د.عبدالله بن عبدالمحسن التركي	شوال1427هـ/نوفمبر2006م	357
119	المستشرقون بين الوفاء والافتراء	رفعت محمد طاحون	ذوالقعدة1427هـ/ديسمبر2006م	358
120	نحو خطاب لساني نقدي عربي أصيل	فاتح زيوان	ذوالحجة1427هـ/يناير2007م	359
121	المواقع الأثرية والتراث الثقافي بالمملكة العربية السعودية	ناصر بن محمد الحميدي	محرم1428هـ/فبراير2007م	360
122	الطائفية والتفكيك بعد سقوط بغداد	د . عايض الردادي	صفر1428هـ/مارس2007م	361
123	شنين الدموع	د. عبدالعزيز بن عبدالله الخويطر	ربيع الأول1428هـ/أبريل2007م	362
124	وميض من قبس الإسلام	د. رافدة بنت عمر الحريري	ربيع الآخر1428هـ/مايو2007م	363
125	الثوابت والمتغيرات في المجتمع السعودي	الأمير الدكتور فيصل بن مشعل بن سعود ابن عبدالعزيز آل سعود	جمادى الأولى1428هـ/يونيو2007م	364
126	هاملتون جيب وكتابة الاتجاهات الحديثة في الإسلام	زكي بن عبدالله الميلاد	جمادى الآخرة1428هـ/يوليو2007م	365

رقم الكتاب	اسم الكتاب	المؤلف	التاريخ	رقم العدد
127	لمحات في التربية الإسلامية	بهاء الدين عبدالله الزهوري	رجب1428هـ/أغسطس2007م	366
128	موقع العقل في ظل التشريع	رغداء محمد زيدان	شعبان1428هـ/سبتمبر2007م	367
129	الإسلام بين العالمية والعولمة	د . خالد احمد حربي	رمضان1428هـ/أكتوبر2007م	368
130	مقدمة في الشعر الياباني	علاء الدين رمضان	شوال1428هـ/نوفمبر2007م	369
131	الترجمة رؤية في الواقع العربي	د. محمد بن عبدالله العبد اللطيف	ذوالقعدة1428هـ/ديسمبر2007م	370
132	من سجن الأسطورة إلى رحم التاريخ	د فاطمة الياس	ذوالحجة1428هـ/يناير2008م	371
133	مفهوم الشعر عند ابن سينا	علي العلوي	محرم1429هـ/يناير2008م	372
134	اغتراب الثقافة الكل عن المجتمع الكيان	د علي بن حمد الخشيبان	صفر1429هـ/فبراير2008م	373
135	الأغذية المعدلة وراثيا مالها وما عليها	د عبدالعزيز بن ابراهيم العثيمين	ربيع الأول1429هـ/مارس2008م	374
136	النحو في عصر العولمة	د. فالح بن شبيب العجمي	ربيع الآخر1429هـ/أبريل2008م	375
137	تقاليد الكرم عند العرب	محمد السموري	جمادى الأولى1429هـ/مايو2008م	376
138	الكنتية خطاب السيرة الذاتية	أحمد علي آل مريع	جمادى الآخرة1429هـ/يونيو2008م	377
139	من تراثنا الحديث في اللغة والفكر والحضارة	عبد الله العلايلي وآخرون	رجب1429هـ/يوليو 2008م	378
140	ثقافة التعليم الالكتروني	د.زكريا يحيى لال	شعبان1429هـ/أغسطس2008م	379
141	الصحافة المطبوعة في عصر الملتيميديا	د. عثمان بن محمود الصيني	رمضان1429هـ/سبتمبر2008م	380
142	التجربة الشعرية الجديدة في السعودية	د. عالي بن سرحان القرشي	شوال1429هـ/اكتوبر2008م	381
143	المصطلح الإيقاعي في التراث الأدبي / القافية نموذجا	فريد محمد أمعضشو	ذوالقعدة1429هـ/نوفمبر2008م	382
144	معركة الشعر المنثور في الصحافة السعودية قبل نصف قرن	محمد بن عبدالرزاق القشعمي	ذوالحجة1429هـ/ديسمبر2008م	383
145	رواد الغناء في الجزيرة العربية من الشفوية إلى التسجيل	أحمد الواصل	محرم 1430هـ/يناير 2009م	384
146	قراءة في الظواهر التمثيلية العربية	سامي عبداللطيف الجمعان	صفر 1430هـ/فبراير 2009م	385
147	الأدب في البرازيل رؤية ومختارات	د . رشا احمد إسماعيل	ربيع الأول1430هـ/مارس2009م	386

رقم الكتاب	اسم الكتاب	المؤلف	التاريخ	رقم العدد
148	أدب المدونات	شاكر لعيبي	ربيع الآخر 1430هـ/ أبريل 2009م	387
149	الثقافة الأفقية وموت النخبة	د فهد العرابي الحارثي	جمادى الأولى 1430هـ/ مايو 2009م	388
150	رحلة الأدب العربي الحديث إلى الإنجليزية	د.موسى أحمد الحالول	جمادى الآخرة 1430هـ/يونيو 2009م	389
151	مترجمو ألف ليلة وليلة	سيلفانا الخوري	رجب 1430هـ/ يوليو 2009م	390
152	رحلة الكتاب في الحضارة الإسلامية	محمد رجب السامرائي	شعبان 1430هـ/ أغسطس 2009م	391
153	النسبية وما بعدها (ألبرت آينشتاين ،ستيفن ،مايكل)	د.عبدالله نعمان الحاج	رمضان 1430هـ/سبتمبر 2009م	392
154	مذكرات أبي القاسم الشابي	د. نور الدين صمود	شوال 1430هـ/ اكتوبر 2009م	393
155	العولمة والأدب العربي المعاصر	د.أسامة محمد البحيري	ذو القعدة 1430هـ/نوفمبر 2009م	394
156	مالك بن نبي في ذاكرة عبدالسلام الهراس	د . محمد البنعيادي	ذو الحجة 1430هـ/ ديسمبر 2009م	395
157	رحلة إلى الحجاز	إبراهيم عبدالقادر المازني	محرم 1431هـ/يناير 2010م	396
158	قصائد أعجبتنا من غازي القصيبي	غازي بن عبدالرحمن القصيبي	صفر 1431هـ/ فبراير 2010م	397
159	البيروقراطية وإدارة المعرفة	د عبدالله مسفر الوقداني	ربيع الأول 1431هـ/ مارس 2010م	398
160	النص السردي الأندلسي مداخل لقراءة جديدة	إبراهيم الحجري	ربيع الآخر 1431هـ/ أبريل 2010م	399
161	أوراق منير العجلاني	منير العجلاني	جمادى الأولى 1431هـ/ مايو 2010م	400
162	الألعاب في النظرية الأدبية	فارغا سلطان ترجمة عثمان الجبالي	جمادى الآخرة 1431هـ/يونيو 2010م	401
163	عالم الكتابة القصصية للطفل	عبد الباقي يوسف	رجب 1431هـ/ يوليو 2010م	402
164	أثر المرجعية الفكرية في تحليل الخطاب اللغوي	فاتح زيوان	شعبان 1431هـ/ أغسطس 2010م	403
165	بدر الكبرى المدينة والغزوة	د. محمد عبده يماني	رمضان 1431هـ/ سبتمبر 2010م	404
166	في الفكر الخلدوني	يوسف الحناشي	شوال 1431هـ/ اكتوبر 2010م	405
167	ميغيل آسين بلاثيوس رائد الاستعراب الاسباني المعاصر	محمد عبدالرحمن القاضي	ذو القعدة 1431هـ/نوفمبر 2010م	406
168	الشعر في المدينة المنورة بين القرنين 12-14هـ	د . عاصم حمدان	ذو الحجة 1431هـ/ ديسمبر 2010م	407

رقم الكتاب	اسم الكتاب	المؤلف	التاريخ	رقم العدد
169	الرواية العربية والفنون السمعية البصرية	د . حسن لشكر	محرم 1432هـ/يناير 2011م	408
170	بدايات تعليم المرأة في المملكة العربية السعودية	محمد عبدالرحمن القشعمي	صفر 1432هـ/فبراير 2011م	409
171	التحيز العربي للنقد الغربي	د.علي حمادي صديقي	ربيع الأول1432هـ/فبراير2011م	410
172	اليد واللسان	عبدالله محمد الغذامي	ربيع الآخر1432هـ/أبريل2011م	411
173	علم الحوار الاسلامي	د خالد أحمد حربي	جمادى الأولى1432هـ/مايو2011م	412
174	الموسوعات الفردية	د علي ابراهيم النملة	جمادى الآخرة1432هـ/يونيو2011م	413
175	تاريخ الهايكو الياباني	ريو يوتسويا ترجمة سعيد بوكرامي	رجب1432هـ/يونيو2011م	414
176	أدب الرحلات النبيلة	محمد منصور	شعبان1432هـ/يونيو2011م	415
177	الخطاب الافتتاحي في القران الكريم	د عبدالملك أشهبون	رمضان1432هـ/أغسطس2011م	416
178	السيرة الذاتية مقاربة الحد والمفهوم	أحمد علي آل مريع	شوال1432هـ/سبتمبر2011م	417
179	الجاحظ في مرآة أبي حيان	ابراهيم صبري راشد	ذوالقعدة1432هـ/أكتوبر2011م	418
180	الإسلام وحقوق الانسان	زكي الميلاد	ذوالحجة1432هـ/نوفمبر2011م	419
181	التراث العلمي العربي وقاماته	صلاح الشهاوي	محرم 1433هـ/ديسمبر 2011م	420
182	حساسية الوائي وذائقة المتلقي	عبدالباقي يوسف	صفر1433هـ/يناير2012م	421
183	وفيات المثقفين 2011	المجلة العربية	ربيع الأول1433هـ/فبراير2012م	422
184	الإسهام الإسلامي في التجديد الفلسفي للقرن 12م	خواكين لومبا فوينتيس	ربيع الآخر1433هـ/مارس2012م	423
185	في ثياب الاعرابي الأصمعي إمام الأنثروبولوجيا العربية	فاضل الربيعي	جمادى الأولى1433هـ/ابريل2012م	424
186	شعر الجن في التراث العربي	د. عبدالله سليم الرشيد	جمادى الآخرة1433هـ/مايو2012م	425
187	رندة الإسلامية أمنع حصون الأندلس الجنوبية	محمد القاضي	رجب1433هـ/يونيو2012م	426
188	مديح الأسئلة الصعبة ألغاز العلم المحيرة	د. عبدالله الحاج	شعبان1433هـ/يوليو2012م	427
189	فرق العمل العلمية في الحضارة الاسلامية	د . خالد أحمد الحربي	رمضان1433هـ/أغسطس2012م	428

رقم الكتاب	اسم الكتاب	المؤلف	التاريخ	رقم العدد
190	موجز تاريخ الأدب الأمريكي	كارثرين فان سباكرن	شوال1433هـ/سبتمبر2012م	429
191	المشكلات الفلسفية عند ابن حزم والبصري وابن رشد	د. بركات محمد مراد	ذوالقعدة1433هـ/أكتوبر2012م	430
192	السيرة لعبة الكتابة	خالد فؤاد طحطح	ذوالحجة1433هـ/أكتوبر 2012م	431
193	آراء إخوان الصفا وخلان الوفا إعجاب وعجب	د. رشيد الخيون	محرم 1434هـ/ديسمبر 2012م	432
194	كتابات السياب النثرية	د . حسن الغرفي	صفر1434هـ/يناير2013م	433
195	عبقرية محمد صلى الله عليه وسلم	عباس محمود العقاد	ربيع الأول1434هـ/فبراير2013م	434
196	ابن رشد وشوق المعرفة	د . بنسالم حميش	ربيع الآخر1434هـ/مارس2013م	435
197	اللغة هوية ناطقة	د . عبدالله البريدي	جمادى الأولى1434هـ/ابريل2013م	436
198	شعر الموسوسين في العصر العباسي	د.عبدالمجيد الإسداوي	جمادى الآخرة1434هـ/مايو2013م	437
199	الشعر والنثر في التراث البلاغي والنقدي	عبداللطيف الوراري	رجب1434هـ/يونيو2013م	438
200	أثر الكوارث الطبيعية في المجال الاقتصادي بالمغرب	د. عبدالهادي البياض	شعبان1434هـ/يوليو2013م	439
201	الاستشراق بين منحنيين النقد الجذري أو الإدانة	د. علي إبراهيم النملة	رمضان1434هـ/أغسطس2013م	440
202	سجع المنثور لأبي منصور الثعالبي(350-429هـ)	د. أسامة محمد البحيري	شوال1434هـ/سبتمبر2013م	441
203	العشاق الثلاثة	د. زكي مبارك (1892-1952)	ذوالقعدة1434هـ/سبتمبر2013م	442
204	أسس العلوم الحديثة في الحضارة الإسلامية	د . خالد حربي	ذو الحجة1434هـ/أكتوبر2013م	443
205	الفلسفة في فكر ابن تيمية جدل النص والتاريخ	د. أحمد محمد سالم	محرم1435هـ/نوفمبر 2013م	444
206	السينما والجذور	ترجمة خالد أقنعي	صفر1435هـ/ديسمبر2013م	445
207	الموروث الشعبي في السرد العربي	محمد عزيز العرفج	ربيع الأول1435هـ/يناير2014م	446
208	الطب والأدب علائق التاريخ والفن	د. عبدالله سليم الرشيد	ربيع الآخر1435هـ/فبراير2014م	447
209	أبو عمر أحمد بن حربون	د. عبدالله بن علي بن ثقفان	جمادى الأولى1435هـ/مارس2014م	448
210	المرجعية والمنهج دراسة نظرية تطبيقية	د. أحمد مرزاق	جمادى الآخرة1435هـ/أبريل2014م	449

رقم الكتاب	اسم الكتاب	المؤلف	التاريخ	رقم العدد
211	اللغة الشاعرة	عباس محمود العقاد	رجب1435هـ/مايو2014م	450
212	ظاهرة التداخل الشعري في المصادر العربية	د. عبدالرزاق حويزي	شعبان1435هـ/يونيو2014م	451
213	رمضان ذاكرة الزمان والمكان	محمد رجب السامرائي	رمضان1435هـ/يوليو2014م	452
214	القدس الشريف في الاستشراق اليهودي	د محمد رضوان	شوال1435هـ/أغسطس 2014م	453
215	الإبداع والنبوغ	د محمد فتحي	ذوالقعدة1435هـ/سبتمبر2014م	454
216	الرحلة الى مكة المكرمة والمدينة المنورة (ج1)	أحمد محمود أبوزيد	ذو الحجة1435هـ/أكتوبر2014م	455
217	نصوص النقد الأدبي لدى حماد الراوية	د الحسين زروق	محرم 1436هـ/نوفمبر2014م	456
218	الحسن بن الهيثم ومأثره العلمية	د أحمد فؤاد باشا	صفر 1436هـ/ديسمبر2014م	457
219	النص الرقمي وإبدالات النقل المعرفي	د محمد مريتي	ربيع الأول 1436هـ/يناير2015م	458
220	المناخ والمجتمع	د عبدالهادي البياض	ربيع الآخر 1436هـ/فبرايرر2015م	459
221	الفنون الأدائية والمستقبل نحو ذاكرة الغناء السعودي	أحمد الواصل	جمادى الأولى 1436هـ/مارس2015م	460
222	الإنسان القروسطي	إبراهيم الحجري	جمادى الأخرة 1436هـ/ابريل2015م	461
223	الاسْتِغْرَاب: المَنْهجُ فِي فَهْمِنا الغَرْبِ	د. علي النملة	رجب 1436هـ/ مايو 2015م	462
224	فن الترسل العربي قديما وحديثا	عبدالقادر بنعبدالله /عبدالحميد أسقال	شعبان 1436هـ/يونيو 2015م	463
225	أبو الطيب المتنبي	عباس العقاد	رمضان 1436هـ/ يوليو 2015م	464
226	الخيال وشعريات المتخيل	د.محمد الديهاجي	شوال 1436هـ/ أغسطس 2015م	465
227	فن التأويل	ترجمة: محمد احمد عثمان	ذو القعدة 1436هـ/ سبتمبر 2015م	466
228	الرحلة إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة (ج2)	أحمد أبو زيد	ذو الحجة1436هـ/ أكتوبر 2015م	467
229	نظرات في الشعر العربي	أحمد بن سليمان اللهيب	محرم1437هـ/ نوفمبر 2015م	468
230	عدسة التاريخ	أسامة سليمان الفليّح	صفر 1437 هـ - ديسمبر 2015	469
231	مقاربات علمية للمقاصد الشرعية	د. أحمد فؤاد باشا	ربيع الأول 1437 هـ - ديسمبر 2015	470

رقم الكتاب	اسم الكتاب	المؤلف	التاريخ	رقم العدد
232	وفيات 2015	هاني الحجي	ربيع الآخر 1437 هـ – يناير 2016	471
233	أحمد مشاري العدواني من الأزهر الشريف إلى ريادة التنوير	حمد عبدالمحسن الحمد	جمادى الأولى 1437 هـ – فبراير 2016	472
234	مساجلات نقدية في الثقافة العربية المعاصرة	محمد القاضي	جمادى الآخرة 1437 هـ – مارس 2016	473
235	الشيخ الرئيس أبوعلي ابن سينا (توثيق ببليوجرافي)	د. أمين سليمان سيدو	رجب 1437 هـ – أبريل 2016	474
236	لغات جنوب الجزيرة العربية	عبدالرزاق القوسي	شعبان 1437 هـ – مايو 2016	475
237	شهر لا مثيل له	علاء الدين حسن	رمضان 1437 هـ – يوليو 2016	476
238	الجذور التاريخية لأدب الأطفال عند العرب	د. محمود إسماعيل آل عمار	شوال 1437 هـ – يوليو 2016	477
239	الترجمة العربية من مدرسة بغداد إلى مدرسة طليطلة	د. حسن بحراوي	ذو القعدة 1437 هـ – أغسطس 2016	478
240	فن كتابة القصة المصورة (comics)	صفية خالد المزيني	ذو الحجة 1437 هـ – سبتمبر 2016	479
241	هكذا تكلم رجاء جارودي	نادية المديوني	محرم 1438 هـ – أكتوبر 2016 م	480


العربية

الكتابة في الوقت الراهن عن الرافعي وأمثاله ممن تغيَّوا الحفاظ على هوية الأمة أمر واجب تحتمه الظروف الراهنة التي تعيشها أمتنا، وسط المحاولات الضارية التي تستهدف بنيانها من القواعد، إذ للرافعي خصوصية كبيرة بين كتاب عصره، وهو ما وضَّحه تلميذه محمد سعيد العريان بقوله: «فالرافعي أديب الخاصة، كان ينشئ إنشاءه في أي فروع الأدب ليضيف ثروة جديدة إلى اللغة تعلو بها وتعز مكاناً بين اللغات».

وهذا الكتاب يكشف عن بعض الحلقات المفقودة في المنجز النقدي للرافعي كما في مقالاته، مثل: حرفة الأدب، وإعجاز القرآن: نقد ظهرت أذنه، وكتاب ابن الرومي.. نقد وتحقيق، والشعر الفني في نظم شوقي بك، وكلها مقالات جديرة بالدراسة بإمكانها أن تُضيف الجديد إلى الرافعي ناقداً.